جداريات

ضبابية الفكرة التي طرأت في عقل كاتبها دون مبرر واضح ولا ندري تسلسلها الزمني.

بطاقة الكتاب:

اسم الكتاب: جداريات.
اسم المؤلف:إيمان عادل رخا .
نوع الكتاب: رواية
عدد الصفحـات: ١١٠ صفحة
المقاس: 14x20
رقم إيداع: ٢٠٢١/٢٠٧٠٣م
الترقيم الدولي: 978-977-6736-04-7
الطبعة: الأولى، ٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة

مها المقداد

للتواصل والطلب من داخل أو خارج مصر:

00201033966291-00201129195867

الغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة

فريق دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

أقر المؤلف بأنه وحده صـــاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضـــمن للناشـــر عدم التعرض من الغير بخصـوص الملكية الفكرية, كما صـرح أن هذا الكتاب ليس في مضـمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضـمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشـر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرّض الناشر للمسؤولية القانونية.

فريق العمل

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

تصميم غلاف : أمل النجار

مراجعة : إسلام النجار

اخراج فني "تنسيق": أمل النجار

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع-مها المقداد

+201289024055

Mahaelmukdad@gmail.com

المصرية السودانية الإماراتية
للنشر والتوزيع

جداريات

للكاتبة

إيمان عادل رخا

الإهداء

إلى هؤلاء الذين يجدون أنفسهم بين السطور ويعثرون

على ذاتهم التائهة داخل الحروف والكلمات

الذين يرقصون على أوجاعهم وينشدون الأغنيات على

لحن بكاءهم حتى لا يعرف الآخرون شيء عن آلامهم

أنتم رائعون ولهذا لستم بخير..

المقدمة

لكل منّا رحلته الخاصة التي يتأرجح بها صعودًا وهبوطًا والتي حتمًا لا تتشابه مع أحد بكل ما تحمله من تفاصيل لكن جميعنا اشتركنا في شيء واحد وهو المعاناة لا أقصد حجم المعاناة أو الاستهانة بما قد يمر به البعض ولكن أتكلم هنا عن الألم وأقصد الألم النفسي على وجه الخصوص

ذلك الصراخ الداخلي والاحتراق والبكاء حد الانهيار؛ أما بالخارج تضحك ولا تظهر أثر ذلك الاحتراق حتى يظن الجميع أنك تحيا حياة مثالية على الرغم من خوفك المتكرر كل ليلة أن تموت وحدك دون أن يشعر أحد

***

عندما نتحدث عن طريقة العيش فاسبح مع التيار، وعندما نتحدث عن المبادئ قف كالصخرة.

توماس جفرسون

الفصل الأول

الساعة الخامسة مساءًا في إحدى شركات خدمات الدفع الالكتروني في حي الزمالك في القاهرة تنتهي ساعات العمل الرسمية ويستعد الجميع للذهاب ويستعد طارق أيضًا فيبدأ بحزم حقيبة الظهر خاصته ويجمع أشيائه ويغلق اللاب توب الخاص به ويضعه في الحقيبة ويتوجه للنزول من المكتب هذه المرة لم يطق الانتظار على باب المصعد فنزل على الدرج يبدو انه ليس على ما يرام.

طارق شاب في الخامسة والعشرين من عمره، يبدو عليه الحدية والصرامة، عاقِد الحاجبين كما وصفت السيدة فيروز" عاقِد الحاجبين على الجبين اللجين"

وعيون بُنيه واسعة وانف مُدبب متوسط الحجم وعظمين وجه بارزتين وشفاه غليظة بعض الشيء لا تبتسم أبدأ ولحية كثيفة خلال فترة عمله بالشركة لم يحدث أي تفاعل بينه وبين زملاءه لا من قريب ولا من بعيد، لم يعرفوا شيئًا عنه سوى اسمه.

طارق منذ طفولته كان يعاني بعض المشكلات والتي تخص صحته النفسية فلديه بعض القواعد التي يؤمن بها ويسير على خُطاها لم يهتم يومًا بتناسق

ألوان ثيابه فقط يرتدي ما هو مريح له، لم يكترث لأراء من حوله ولم يعيرها أي اهتمام كان يتتعمد عدم الاستماع له احيانا وكانت تلك إحدى قواعده..

و لا يؤمن بفكرة الصداقة ولم يكن له أبدأ صديق مُقرب طيلة حياته ولم يشعر أبدأ بأن شيئًا ينقصه، لديه اكتفاء ذاتي بنفسه ويعتقد بأن" لا أحد يستحق أن يرى سقطاتي أو لحظات انهياري وبُكائي وساعات وجعي وشعور الغربة في قلبي" هكذا كتب في مُذكراته ذات ليله قاسية من ليالي ديسمبر.

وجد في الوحدة راحته فاعتاد عليها واعتادت عليه وباتت التجمعات لأي سبب من الأسباب تزعجه، حتى التجمعات العائلية التي أصبحت مصدر إزعاج له فانسحب منها بالتدريج حتى اختفي تمامًا فاعتادوا غيابه واتهموه بالتعالي والغرور هكذا فهموا لم يستطع أحد محاولة استيعاب ما الذي يدور داخل رأسه وان هذا الأمر حقًا خارج عن ارادته، لو يدركوا كم مره حاول الاقتراب ولكن وساوسه تمنعه من الاختلاط بهم، لم يضع أحد نفسه مكان طارق ولو للمرة واحدة ليشعر بمعاناته أو ليشعر بكم الضجيج في رأسه والحرب التي كان يخوضها يوميًا لمواجهة اتهامات ليست لها أي صله على الاطلاق به أحب العُزلة بعد ما فُرضت عليه فهو الابن الوحيد لم يكن لديه اخوه فجعل الكتاب ولفافات التبغ اليدوية صديقيه المقربين وبعد انتشار مواقع التواصل الاجتماعي أصبح متابعا جيد للأحداث الاجتماعية والسياسية

والكروية أيضًا، تستوقفه الأحداث العامة وتؤثر عليه وعلى حياته تأثير كامل طويل المدى قرر الاختباء خلف شاشة حاسوبه وهاتفه وارتداء قناع مواقع التواصل الاجتماعية والتي ساعدت بدورها على التفرقة لا لم شمل الأسرة والموت البطيء للعلاقات الإنسانية وأصبح الاكتفاء بكتابة تعليق بتمني الشفاء العاجل بدلا من زيارة المريض.

وانتشار سوء السلوك المجتمعي وإعادة تسميته ليطلقوا عليه" الاوبن مايند" وبالطبع زيادة حالات الطلاق تحولنا بشكل أو بأخر إلى مجموعة من الموتى الأحياء، مجردين من كل شيء، عراه، خرجنا من ثوب الفضيلة والعادات والتقاليد إلى حافة الهاوية دون تفكير في ما سيحدث في المستقبل لم نلتفت بالقدر الكافي لتربية الجيل الناشئ والذي ترتب عليه خروج جزء كبير منهم عن سياق الآداب العامة فنتج عنه ارتكاب أطفال في عمر الزهور جرائم بشعه كالتحرش والاغتصاب والسرقة والقتل وما خُفي كان أعظم كان قد قرأ في إحدى الصحف الإلكترونية صباح اليوم" ارتفاع معدلات الجرائم الخاصة باغتصاب الأطفال من قِبل جناه تحت السن القانوني"

كاد أن ينفجر رأسه بعد قراءة عنوان المقال فقط قبل قراءته من التفكير متى وكيف وصلنا إلى هنا؟ ما الذي حدث؟ كيف لطفل لم يتجاوز العشرة أعوام أن يخطط ليغتصب أو يقتل؟

فأكمل قراءة المقال لعله يجد اجابه لكل ما يدور في رأسه فيهدأ قليلا

ما ان أنهي المقال حتى زاد الوضع سوءً وكثرت الأسئلة وتلاشت الاجابات تمامًا اين دور الأهل والمدرسة والمجتمع ورجال الدين في المسجد والكنيسة؟! أين المروءة والعادات والتقاليد واين القانون من كل هذا؟ لابد أن يكون هناك استثناء أت لجرائم بشعة كهذه وان يعامل كمجرم قاتل كان أو مغتصب وليس كطفل تحت السن القانوني ويحاكم حكم مخفف، ثم بعد انتهاء مدة العقوبة يخرج ليرتكب جرائم أخرى كاد أن يفقد عقله من فرط التفكير

ظل يتابع سيره وهو يلاحظ اللون الأحمر مسيطر على الاجواء، الورود والدُمى الحمراء العملاقة معلقة على ابواب المحلات، الجو العام يطغى عليه الطابع الرومانسي على غير العادة فانتبه للتاريخ. حسنًا، انه عيد الحب اليوم الوحيد الذي ينتصر فيه الحُب على كل شيء وكأنه يأتي ليضع حدًا للخصام

يتعالى صوت السيدة أم كلثوم قائلة: " افتكر لي لحظه حلوه عيشنا فيها للهوى وافتكر لي مره غنوه يوم سمعناها سوا، خد من عمري، عمري كله الا ثواني اشوفك فيها" من مقهى يبدو قديم يجلس به رجال في العقد الخامس والسادس من عمرهم، قد نقش الزمان تاريخه على وجوههم متخفيًا في طيات التجاعيد، يستمعون بإنصات لكلمات كوكب الشرق ويبدو عليهم الاندماج معها حد

التأثر بها وكأن كلاً منهم يرى شريط حياته بما يخفيه من ذكريات ويتذكر شبابه وقصة حُبه القديمة والتفاصيل التي حُفرت في القلب كالجداريات على جدران المعابد مهما مر عليها الوقت بقي اثرها، ترا كم منهم تزوج حبيبته وعاش النهايات السعيدة، اعتقد ان الحياة ليست عادله بما يكفي لتكون النهايات سعيدة كما تعودنا في قصص الأطفال فالخير لم يعد ينتصر على الشر، والظالم بات ينام ولا يبالي، الجشع أصبح مسيطر على التجار وعلى معظم أصحاب الأملاك والأموال، الرشوة والوسطة تتحدث دونً عن الكفاءة والخبرة تابع طارق خطواته وهو يردد في داخلة ما هذا العالم المتناقض المخيف؟ كل منا في وادٍ ولا أحد يرى سوى نفسه وذاته، كيف يستطيع الاغنياء النوم وهم يعلمون كل العلم ان ثمة من ينام على الرصيف يتضور جوعًا ويموت من البرد القارص ولا يجد مأوى يحميه من امطار الشتاء، إن ثمة امهات يسكن في بيوت اسقفها متهالكة لا تحميهم من مياه الامطار، أن هناك مرضى لا يستطيعون تحمل تكلفة العلاج وينتظرون ادوارهم في المستشفيات والتي ربما تأتي بعد انقضاء اعمارهم بشهور وربما سنوات تذكر على الفور كلمات كاتبه المفضل فيودور دوستويفسكي، لطالما كان مولعا بكتاباته ومتأثرًا بتاريخه العريق ومذكراته التي تتردد بيننا طوال الوقت وتلازمنا وتخطو معنا خطوات حياتنا.

" لقد فقدنا صلتنا بالحياة إلى درجة أننا لا نملك أحيانًا إلا أن نشعر بالاشمئزاز من" الحياة الحقيقية"، ولهذا فإننا نغضب حين يذكرنا الناس بذلك. لماذا، بل إننا ذهبنا بعيدًا جدًا في هذا، وصرنا ننظر إلى" الحياة الحقيقية" باعتبارها عبئًا ثقيلاً، ونحن جميعًا متفقون على أن" الحياة" كما نجدها في الكتب هي أفضل بكثير. ولماذا نحدث كل هذه الضجة في بعض الأحيان؟ لماذا نخدع أنفسنا؟ ماذا نريد؟ إننا أنفسنا لا نعرف ذلك!"

ليت الحياة كما نراها في الكتب، ليتها بهذا الكمال والرقي، ليت كل ظالم ينال عقابه وكل الاناس الذين بلا مأوى يجمعهم بيت كبير يشعرون فيه بالدفى والسكينة، والخير يكون المنتصر الوحيد ذو الصوت العالِ المسموع، ليت كل قصص الحب تنتهي بالزواج و لكنها مجرد احلام لنصحو على الكابوس

الذي نحياه كانت كلمات دوستويفسكي في محلها، من الواضح ان الحياة مثيره للاشمئزاز منذ زمن بعيد والبشر أيضًا مثيرين للشفقة أشفق عليهم جميعًا دون أن استثني احد، واعلم ان ما يخبئه كلا منهم بداخله ليس بهين وانه حمل ثقيل، ثقيل حتى لا تستطيع البوح به، واعلم ان أثر الندوب القديمة مازالت موجودة ولكن لا أحد يستطيع أن يضيع وقته في البكاء على اللبن المسكوب بسبب سرعة الأحداث، الحياة تجري ولا تنتظرك لتلحق بها إما ان ترتدي قناع يخفي ندوبك وشحوب قلبك وتجري معها أو لن تحصل على شيء

كان يسير وهو حزين وشريد الذهن، هذا آخر ما تذكره قبل أن يستيقظ على سرير شراشفه بيضاء تميل إلى لون السمن نوعا ما، بداخل غرفه أكلت الرطوبة جدرانها فلم يعد لونها واضح للحاضرين وشبابيك حديدية تشبه شبابيك السجون واشخاص حوله يرتدون معاطف بيضاء فأدرك انه بإحدى المستشفيات، فقرر الاستعانة بأحد الاشخاص الموجودين بالغربة عله يجد اجابات على ما يدور بداخله.

- عفوًا، ما الذي جاء بي إلى هنا وكيف وصلت للمشفى، ماذا حدث؟

ليعلم من أحد افراد التمريض انه جاء منذ يومٍ ونصف اليوم في حادث سير وكانت الصدمة شديده على رأسه وهذا ما جعله غائب عن الوعي حتى الآن،

صمتت لثوانٍ تدون شيئًا ما على الأوراق التي بيدها ثم أكملت الحديث قائلة:

= احضروك إلى المشفى مجموعة شباب وتركوا كارت شخصي به رقم هاتف محمول خاص بأحدهم وطلبوا منّا التواصل معهم ما ان تسترد وعيك، بالمناسبة والدتك تنام منذ وصولك إلى هنا في استراحة المشفى يبدو انها تحبك كثيرًا سنسمح لها بالزيارة في مواعيد الزيارة الرسمية، هل تريد شيئًا اخر؟ يجب أن اذهب لتسليم التقارير للطبيب

- متى يمكنني الخروج؟

= ستظل تحت الملاحظة أربعة وعشرون ساعة ويمكنك الخروج وممارسة حياتك اليومية، أراك لاحقا.

ذهبت ثم عادت ومعها والدته وشاب في العشرينات من عمره متوسط الطول شعره كثيف متفرق ومتناثر في كل الاتجاهات ولكنه يعطيه مظهرًا جذاب وفتاه شقراء بعيون تجمع بين السماء والبحر في آن واحد، في نفس عمره تقريبًا أو أصغر بعام أو عامين، لفتت انظار جميع من في الغرفة من شده جمالها رُغم انها لم تضع أيًا من مساحيق التجميل انهارت والدته باكيه واحتضنته وظلت تتفحص وجهه ويديه وشعره وتقبل جروحه وتبكي وتشكر الله على انه اعاده اليها مرة أخرى فاحتضنها وحاول تهدأتها قائلاً:

- اهدأي يا أمي أنا بخير، ها أنا لم امُت على الرغم من ان الموت راحه ابديه الا انني لا أستطيع تركك تتألمين بسببي، تحملتي الكثير لآجلي وسأفعل كل ما في استطاعتي لأسعدك، اهدأي و قبل جبينها فهدأت قليلاً وتوقفت عن البُكاء فسألها عن الشاب والفتاه، فقاطعه الشاب قائلاً:

انا عُمر وهذه نادين، كنا نجلس في المقهى المقابل لمكان الحادث لم نتمكن من اللحاق بالسائق ولم نستطع كتابة ارقام لوحة السيارة من سرعتها فاختفت عن الانظار سريعًا، اتصل شخص ما من سكان الحي بالإسعاف وجاءت

خلال دقائق، حاولنا الاتصال بأحد أقاربك لنخبره فلم نجد بهاتفك الا رقم واحد فقط" سيدة الكون"، قامت نادين بالاتصال بها لتُخبرها بينما كُنا معك بسيارة الاسعاف فوجدتها والدتك، قلِقَت عليك كثيرًا وظلت تبكي كثيرًا، ظللنا معها في استراحة المشفى حتى هدأت وفَضلَت المبيت على مقاعد الاستراحة إلى أن يأتي ميعاد الزيارة فتكتفي بالجلوس بجانبك وتمسك بيدك وتقبلها وتدعي الله وهي تبكي أن يردك اليها والا تفقدك فتفقد كل أسباب الحياة وغايتها، كانت كلماتها تدمع القلب حقًا لا تقلق عليها لم تتركها نادين منذ جئنا بك إلى هنا، احبتها كثيرًا وسنظل معها إلى أن نوصلكم للمنزل سويًا

قاطعته الأم قائلة:

هذا شرف لنا، فابتسمت نادين شعورًا بالامتنان وشكرتها كثيرًا على كلماتها اللطيفة ومشاعرها الطيبة الحنونة، قاطعها عمر بالمناسبة اعطينا والدتك الحقيبة التي كانت معك وقت الحادث لحُسن حظك لم يحدث لها شيء شكرهم طارق كثيرًا على ما فعلوه لغريب لم يعرفوا عنه شيئًا سوى انه مُصاب في حادث سير فلم يتركوه لم يكن له أصدقاء ولا شخص واحد قريب منه ليضحي من اجله سوى أمه التي افنت عمرها تضحي لأجله، كان حقًا عاجز عن اختيار كلمات تناسب ما يشعر به في قلبه وكأن الكلمات التي تصفه لم تُخلق بعد، انتهى ميعاد الزيادة فاعتصرته والدته بشده لتذهب مرة أخرى لمقاعد

الاستراحة ومعها نادين تجلس معها كما فعلت ليلة أمس حتى التاسعة مساءً فلا تستطيع التأخير أكثر نظرا لكونها فتاه تعيش بمفردها تخشى نظرات جيرانها الملغمة بالظنون السيئة والسنتهم التي تطلق سهام الشائعات دون رحمه.

نادين على الرغم من جاذبيتها وجمالها الملفت للأنظار الا ان قلبها يملأه التعاسة والحزن، داخلها مظلم كقبو منزل مهجور لم يرى النور أبداً لكنها لا تُحب نظرات الشفقة والاحسان فدائمًا ما تتظاهر بالسعادة العارمة التي لم يمسسها حزن ولا بكاء أو تفكير سوداوي ولكنها في حقيقة الأمر انها تغرق في النوم عادة من شدة البكاء الانتظار مرهق والجلوس على مقاعد الاستراحات ممل، لكن الوقت يمر سريعًا إما بالقراءة أو الاستماع إلى موسيقي هادئة أو بالحديث مع شخص يتشارك معك الحديث ولا يشعر بالثقل منك، في عربات القطارات والمواصلات العامة وحتى استراحات المستشفيات والاسواق هكذا يمر الوقت بالثرثرة في كل وأي شيء بالنسبة للسيدات أكثر من الرجال بداية من الامور الشخصية ومنتجات العناية بالبشرة والشعر واشهى الاكلات إلى دور المرأة في المجتمع وحقوقها المهدورة وظلم الرجال لهن وهكذا..

والدة طارق حنونة ونقيه لدرجة انها تتسلل إلى صميم قلبك دون أن تشعر، تداعب القلب فتطيب جروحه دون طبيب، على فطرتها تحكي عن ابنها الوحيد فتشعر انه انتصار ها الاوحد وانه وحده مصدر فرحها وشقاءها

أحبتها نادين كثيرًا، كانت تستمع لها بإنصات وفرح، تمنت لو انها والدتها التي لم تعرفها يومًا أو تلامس وجهها ولم تسمع صوتها أو تحتضنها

لاحظت الأم انها أكثرت الحديث فابتسمت واعتذرت عن كثرة الكلمات واندفاعها منها دون أن تدري ثم قالت ماذا عنكِ، حدثيني عن نادين التي تستمع لي منذ يومين ولا تتحدث سوى بكلمات رقيقة تجبر الخاطر؟

تنهدت نادين وارتجف صوتها علك تساءلت عن تمسكي بالجلوس معكِ طوال

هذه الساعات وانصاتي باهتمام ولماذا لم يحاول والداي الاتصال والسؤال عني طوال هذه الساعات، توترت قليلا ولكن لا بأس، نشأت في دار لرعاية الايتام لم ارى أمي ولم تحتضني ولا أعرف حتى اسم ابي، وجدني حارس الدار بعمر أيام في صندوق خشبي ومعي رسالة" لا يمكننا الاحتفاظ بها اسميتها نادين" لست تيتمه ولكن تنازل عني والداي لم يريدونني ليتني لم اولد من البداية على الارجح لقيطه، حقًا لا أعرف جئت بطريقه غير شرعيه اعتقد ذلك، مجرد خطأ بين شخصين بت ادفع ثمنه وحدي عمر كامل من

التشتت والانحناء في بداية الأمر كنت طفله لا تعي ماذا حدث ولكني كنت أشعر أن هناك شيء ما لم أشعر يومًا بالخزي كوني إحدى نزلاء الدار، كنت فقط أشعر بالسخط تجاه عائلتي التي لم أعرف عنها شيء عانيت وبكيت كثيرًا، اسوأ ما قد يمر به الشخص هو صراعاته الداخلية، ان تبكي بداخلك وتنهار وتصرخ أريد المساعدة ساعدوني ولا تستطيع البوح بذلك فتتظاهر بالثبات والقوه رسمت والدتي التي تمنيتها تشبهني كثيرًا شقراء بعيون زرقاء وكنت الومها وابكي حتى انام، فعلت هذا حتى اتممت دراستي الثانوية، تمنيت ان تحبني أمي كحبك لطارق، بعد امتحانات الثانوية مباشرة استدعتني مديرة الدار وأبلغتني ان فترة الاستضافة انتهت وان أبدأ بالبحث عن سكن خارج الدار وبداية حياه جديده وحدي لأول مرة سأواجه العالم وحدي خارج اسوار الدار دون أن أطلب المساعدة من احد، اعطتني فرصه ٣٠ يوم لأجد منزل وانتقل اليه ينعم الطفل اليتيم ببعض حقوقه في الدولة، وبمجرد تخطيه سن الثامنة عشر، يرفع الجميع أيديهم عنه، تاركينه وحيدًا، مطالبينه بالخروج من دار الرعاية التي تربى بين جدرانها والاعتماد على نفسه بدلا من تخصيص مكان آمن له، ولا ينظر إليه على كونه يتيما بلا ظهر يحميه في الحياة لن تتخيلي حالة الذعر التي عشتها بعد أن تلقيت خبر خروجى من الدار، فالمكان الذى عشت فيه منذ أن بدأت تفهم ما يدور حولك أصبح محرما

على دخوله أو العيش فيه وينتظرني مصير مجهول بهذه الكلمات تحدثت نادين وعيناها تفيضان بالدموع بات الخبر صادم ليومين فقط، تنازل مرة أخرى ولكن هذه المرة مختلفة، لكنني لم انهار ولم أبكي وبدأت فعلاً بالبحث عن عمل يتضمن اقامه مديرة الدار قالت لي على إحدى الجمعيات الخيرية والتي يمكنها ان تتبناني وتوفر لي الإقامة ولكني رفضت ارفض نظرات الشفقة والعطف من أي شخص حولي، لا أريد الانحناء مرة أخرى ولا أريد أن يعرف أحد نقاط ضعفي فيتملكني ويتخلى عني، لا يمكنني تحمل ذلك الشعور ثانية ولا يمكن أن ينكسر قلبي مرة أخرى كنت انزل يوميًا للمحلات والاسواق التجارية ابحث عن عمل حتى رأيت على باب أحد محلات الملابس" مطلوب آنسه للعمل" دعوت الله في قلبي أن يساعدني هذه المرة، معاذ الله اني ما يئست ولكني مرهقه لا أملك المال ولا الوقت الكافي، أعلم انك لن تتركني فكُن معي ووفقني تنفست بعُمق ودفعت الباب ودخلت لأجد سيده في العقد الخامس من عمرها بوجه بشوش مبتسم وملامح هادئة تُدخل الطمأنينة اللي قلبك وهذا ما حدث بالتفاصيل سألتني عن خبراتي في العمل فأخبرتها كل ما حدث وعن قدر احتياجي للعمل وان الوقت لم يعد كافي للبحث عن عمل ومنزل فتعاطفت معي وقالت لي اسمي الحاجة صافيه والجميع هنا يناديني الحاجة ليلى اصغر بناتي في نفس عمرك تقريبًا أو

تكبرك بعامين، طالبه تدرس بكلية الحقوق تريد أن تصبح محاميه لتدافع عن المظلومين وترفع عنهم الظلم بالمناسبة هي تعمل معي في المحل بعد انتهاء يومها الدراسي وستكون اخت لطيفه لكِ، لن تشعري بأنكِ غريبة سنعامل الله فيكِ فإطمئني يا ابنتي في العمل أحب المشاركة فأُعد الفطور في المنزل ونفطر سويًا ويتكفل المحل بوجبة غداء للموظفات في المخزن سأحضر لكِ سريرًا يمكنك المبيت هناك ولن تحتاجي للبحث عن منزل ويمكنك ادخار راتبك، الدنيا دار عناء فيجعلنا الله جنودًا على الأرض لنكون عونًا بعضنا لبعض لم استطع التحكم في دموعي فانهارت باكيه لم اكن أعرف ان الله قريب إلى هذا الحد، فإحتضنتني وقالت لي لا تبكي ان الله يرزقنا من حيث لا نحتسب انه فقط يختبرنا ليرى قوة ايماننا به وثقتنا في قدرته، يمكنك استلام العمل غدًا في بداية الأمر عملت في محل الملابس وكنت أنام في المخزن قرابة عامين ونصف ثم تعرفت على نورا، كانت زبونه دائمه للمحل ذات مره تحدثنا بينما كانت تشتري الملابس وعرضت على العمل معها في إحدى شركات العقارات فرصه لن تتكرر كثيرًا ولكن ازمتي الوحيدة كانت المبيت، فاقترحت على ان استأجر غرفه في بيتها بعد أن رفضت مبدأ المشاركة بدون مقابل قبلت بالعرض في نهاية الأمر وعملنا سويًا لفتره طويلة تعثرنا ونجحنا معًا، ثم قررنا انه حان الوقت ان نبدأ بمشروعنا الخاص فأسسنا شركتنا

الخاصة ها أنا الآن امتلك منزل صغير وانتقلت للعيش وحدي وأكملت دراستي بالتعليم المفتوح احتضنتها والدة طارق فجأة دون مقدمات فبكت نادين ولكنها حاولت أن تظهر انها متماسكة فقالت مر الوقت سريعًا يجب أن اذهب أراك غدًا إلى اللقاء.

في الواحدة ظهر اليوم التالي جاء كلا من عمر ونادين لاستقبال طارق مع والدته على أن يقلهم عمر بسيارته إلى منزلهم، ساد الصمت داخل السيارة وارتفع صوت المذياع.

"جددت حُبك ليه بعد الفؤاد ما ارتاح ده الهجر وانت قريب مني. كان فيه أمل لوصالك يوم لكن بعادك ده عني. خلى الفؤاد منك محروم يا هل ترى قلبك مشتاق. يحس لوعة قلبي عليك"

تتميز اغاني" الست" انها تنقلك من عالمك لعالم آخر مليء بالمشاعر الصادقة والتي لا تعرف عن الحب الا مشاعره الدافئة ولا عن الفراق الا مرارته ولوعته تسمعها فتتأرجح بين هنا وهناك وتسرح في افقك الخاص، لعالم تخلقه لك موسيقاها وعذوبة صوتها وإحساسها الساحر الذي يتملك القلب

قاطعت والدة طارق ذلك الصمت الجميل قائلة:

اغاني الست لا تموت أبدأ فكل زمان ومكان هو زمانها ومكانها، نشأنا وتربينا

عليها كتب لها احمد رامي العديد من أغنياتها، كان مولعًا بها، أحبها حد الجنون، يُقال بأن وصفت هذه الأغنية مشاعر الحب التي يكنها لها، جمعتهما علاقة عمل وصداقة قوية تحولت لمشاعر حب واضحة من جهة أحمد رامي إلا أنه لم يطلبها أبدأ للزواج بعكس ما يقال، فكان دائمًا يرد أن أم كلثوم رمز مصري كالهرم والنيل هل ترى أحدا من قبل تزوج الهرم؟

ويُقال أيضًا انه بعد وفاتها كسر قلمه وهجر الشعر والناس وجلس في حالة اكتئاب وعزلة، حتى أنه لم يكتب قصيدة في رثاءها، وظل الخاتم الذي أعطته له هدية زواجه في يده لمدة أربعون عاما شاهدا على قصة حبه كان حب أم كلثوم أحد أسباب تعارفنا أنا ووالد طارق واشتعال أول شرارة حُب بيننا ثم لمعت عيناها وارتسمت على وجهها ابتسامة تحمل في طياتها ذكريات مختلطة وكثيره، التفتت اليها نادين وقالت لها باندفاع: كيف كان لقاءكم الأول؟

تنهدت واعتدلت في مجلسها قائلة:

كان والد طارق الاخ الأكبر لصديقتي المقربة رأيته للمرة الأولى بينما كنا نذاكر مادة علم النفس سويًا في منزلها، كان جالس في شرفة المنزل على كرسي هزاز يرتدي بيجامة كاستور واضعًا ساق على الاخرى وفي يده

فنجان قهوه يرتشفه بحذر وفي اليد الاخرى سيجاره تحترق ويستمع لحفلة أم كلثوم في الراديو بإنصات تام، إذا رأيته تشعر وكأنه لا ينتمي الينا ولا يرانا، أعرف حالة النشوى تلك، تتملكني حين استمع لأغنياتها ليلاً وأنا اقرأ فلا أستطيع الا ان ارى ذلك العالم الذي اتأرجح فيه بين الكلمات ومقاطع الاغاني

حينها انتفض قلبي وازدادت نبضاته وتسارعت، شعرت كهرباء تسري بعروقي ليست كرات دم بيضاء وحمراء ف احمر وجهي وكأنه أصابته الحُمى.

كانت مجرد نظره عابره ولكنها طبعت صورته في قلبي وعقلي أيضًا فأصبح لا يفارق تفكيري اراه في كل ما هو حولي وكل من حولي حتى ساعات نومي لم تخلو منه، احببت المذاكرة عندها كثيرًا ثم ضحكت بخجل وأكملت حديثها، في البداية لم يلتفت لوجودي في منزلهم على الاغلب كان يظنني طفله في المرحلة الابتدائية لصِغر حجمي ونحالتي الا ان قررت أن يلتفت إلى ويراني بأكثر من طريقه، حاولت وحاولت وحاولت ولم تنجح أي منهم، لم يكن فضولي كما توقعت ليفتش بأشياء لا تخصه، ظللت هكذا قرابة عام كامل كنت قد بدأت ان أفقد الأمل إلى أن اتصلت بي صديقتي لتخبرني ان والدتها رشحتني للزواج بابنها الوحيد، كاد أن يتوقف قلبي أو ينفجر من فرط

السعادة ولكن بقيت على شيء من الثبات أمامها واخبرتها انني سوف أخبر والدي ليحدد موعد مناسب لزيارتهم وسأعاود الاتصال بها وبالفعل اخبرت والداي وحددا الموعد المناسب واتصلت والدتي بوالدتها لتخبرهم بالموعد المحدد

تمت الخطبة في أقل من أسبوع وتزوجنا بعدها بثمانية أشهر تقريبًا

قاطعتها نادين، هل قال انه كان يكن لكِ مشاعر الحب قبل الخطبة!

ابتسمت قائلة، بعد الخطبة مباشرة اعترف انه كان يسترق النظر خِلسه ويراقبني في صمت وقال لي جمله عاشت معنا طيلة فترة زواجنا" سرقتي قلبي قبل عيني"

تزوجنا في شقه ايجار صغيره جدًا وكان يعمل حينئذ موظف صغير في السكة الحديد لكن القناعة والرضا كنز لا يفنى

كان يكفيني ان اراه يضحك فتطير الفراشات حولي وتتفتح الزهور في كل مكان، كل صباح كان يشكرني على وجودي معه ويقبل يدي، بل كان يقبل يدي ويحتضني بسبب وبدون سبب، لم اذكر يومًا اني بكيت وتركني أنام حتى وان كنت أنا المخطئة كان أقل القليل يكفينا ويسعدنا، الحب والاحترام والتفاهم يتغلبن على الصعاب مهما كثرت وتفاقمت تزوجنا لأكثر من ثلاثة

أعوام لم يرزقنا الله بأولاد الأمر الذي جعلنا نلجأ للتدخل الطبي مرارًا وتكرارًا والى ان مَن الله علينا بطارق، خلال تلك الأعوام الثلاثة ترقى زوجي في عمله وانتقلنا للعيش في منزل أكبر ثلاثة أعوام من المودة والرحمة رغم ضغط الأهل علينا بسبب تأخر الحمل اندفعت نادين مرة أخرى بحماس مبتسمه يبدو أن هناك من عاشت قصة حب أفلاطونية ولم يذكرها التاريخ فابتسمت والدة طارق قائلة صدقيني يا ابنتي المشاعر الصادقة تنتصر دائمًا وأبدًا، كل ما هو صادق يتخلل القلب ويسكنه.

تنهدت نادين قائلة: بيأس

يبدو ان كل ما هو صادق لا يناسبني، اضلل طريقه في البحث عني فلن يجدني ولن أجده.

طبطبت والدة طارق على كتف نادين بلُطف قائلة: لا تتعجلي يا حلوتي فكل ما هو جميل سيجعله الله من نصيبك وسيعوضك كل لحظات ألمك وتعاستك بسعادة تغمرك فتنسيكي مراره ما تذوقتيه يومًا لا تنسي حق الله فيما اعطاكي لن ينساكي ولن يتركك هدأ الجميع وساد الصمت مرة أخرى حتى أوقف عمر السيارة يهنئهم بسلامة رجوع طارق اللي منزله في السيدة زينب بالقاهرة..

منزل قديم نوعًا ما مُكون من طابقين، بباب خشبي مُتهالك من مياه الامطار وشُراعه وجدران شبه باليه تتوطنها شقوق تخفي بداخلها بيوت النحل ونسيج العنكبوت، في مدخله توجد جرّة ماء حزينة قد جف ماؤها وكستها طحالب الهجر وعلبه قديمة مزروع بها صباره كبيره ولكنها أوراقها محترقة وذابله وإصيص مكسور يبدو انه كان به ورود وريحان أو هكذا اظن

المكان يتغلب عليه طابع الكآبة، الاماكن أيضًا تحزن لفراق احبائها فيتملكها الحزن وتضيع بهجتها.

فيتحول المنزل من قنديل لا ينطفئ ينير للمارة طريقهم إلى مكان معتم لم تزره نور الشمس يومًا ولا حتى نور مصباح صغير

قالت جدتي يومًا" المكان بيحس بحبايبه والحاجة بتزعل على أصحابها"

لطالما لم أرد ان أكتب حرفًا بالعامية لكن هناك كلمات ما إن تم تحريفها فقدت معناها هكذا الحال مع الامثال الشعبية ونصائح الجدات ألحت والدة طارق عليهم كثيرًا للدخول لكنهم رفضوا ليرتكوا الأم ترتاح قليلاً فلم تنام لأيام الا على كراسي الاستقبال في المستشفى من المؤكد ان ظهرها تيبس من الجلوس.

في صباح اليوم الثالث

فتح طارق مفكرته الصغيرة ليكتب ما مر به خلال الأيام المضية فوجد ما كتبه يومًا على لسان إحدى المرضى من أحد المصحات النفسية قد كتب على جدرانها.

" كُنا بخير لولا الآخرون"

شرد قرابة الدقيقتين في هذه العبارة محدثًا نفسه

" كُنت سأكون ميتًا لولا الآخرون الذين أنقذوني دون أن يعرفوا من أكون"

أعرف جيدًا أن العالم سلبي ومتخاذل ولا يعرف عن العدل شيء وان الخراب يحيط بنا من كل اتجاه ولكن ما حدث تحديدًا خلال أسبوع مضى غير نمط تفكيري ولو تغيير طفيف، اعتقد أن هناك جانب مضيء يضئ ولو جانب واحد من تلك الجوانب الكثيرة المعتمة والتي اجتاحت حياتنا فعصفت بقلوبنا فأظلمتها.

تذكرت وقت الحادث توقف الزمن ولم أفكر في شيء سوى أمي ماذا ستفعل ان أصابني مكروه؟ أمي وحيده يا الله فأعِنها ولا تتركها تعاني لا اريدها ان تبكي بسببي ثم ارتطمت رأسي بالأرض وغيبت عن الوعي لأصحو بين أجهزة الانعاش في مستشفى فأتحسس جسدي ووجهي وشعري وكل ما أستطيع لمسه لأتأكد انني ما زلت حيًا واجد الممرضة تعطني كارت شخصي

وتخبرني بأن مجموعة شباب هم من أنقذوني وتركوا رقم أحدهم بالكارت حتى لا يتركوا أمي وحيده.

يرسل الله لك جنوده في الأرض كما يفعل كل مره ليطبطب على قلبك ويطمئنك انه لن يتركك.

تتحقق عبارة الناس للناس في المجتمعات المتوسطة أو الفقيرة بمعنى ادق والتي اعتادت على العطاء.

لن يشعر بالمحتاج الا المحتاج ولن يعرف حاجة الفقير الا الفقير ولن يقسم معك رغيفه الا الذي عرف معنى الجوع، يبدو ان العالم في حاجة لتغيير مفاهيمه ومسلماته ففاقد الشيء هو أكثر شخص يستطيع أن يقدمه وببراعة يقول طارق في داخلة هل يجب أن اتصل بهم لأشكرهم على لطفهم وعلى ما فعلوا مع أمي ومعي؟!

ثم يقرر مجيبًا على سؤاله بان يكتفي بإرسال رسالة شكر لعمر على واتساب

يكتب ويمحو،

ويكتب ويمحو

ظل هكذا ساعة ونصف ساعة إلى أن قرر ما تحتويه الرسالة.

" صباح الخير يا عمر.

انا طارق، اود ان أشكرك أنت ونادين كثيرًا لا أعرف ماذا اقول في تلك اللحظات فأنا مدين لكم بالكثير ولا انجح في اختيار الكلمات المناسبة اعذرني أرجوك وشكرًا مرة أخرى" وأرسلها.

رد عليه عمر

"صباح الخير، حمدًا لله على سلامتك، لا شكر على واجب يا صديقي نحن مجرد أسباب لنساعد بعضنا، ما رأيك ان تأتي لتجلس معنا بالمقهى سنجتمع لنناقش أمر التبرعات زيارات إحدى المصحات النفسية وزيارة المرضى الذين انقطع اهلهم عن زيارتهم"

تردد طارق فهو لا يحب التجمعات لطالما اراد أن يفعل ذلك يومًا ولكنه لا يرى نفسه جزء من مجموعه فلا يستطيع رفض الدعوة رفض صريح، لا يملك شجاعة الرفض ولا القبول ويتملكه التردد

كان التردد يشاركه طفولته أيضًا عندما يرى زميل له في المدرسة أخطأ التصرف لا يستطيع لومه أو توجيهه ولكن يستطيع لومه في مفكرته الصغيرة التي لم تفارقه يومًا.

لطالما كانت صديقه الأول، تحدث معها في امور عِده وشاركته بصمتها في مناقشة أفكاره وأحاديثه الداخلية واضطرابات مشاعره وصراعاته ما بين الخير والشر، الثواب والعقاب.

بعد ما كتب طارق تلك اليومية وفكر معها بصوت عالٍ قرر المشاركة في ذلك العمل الإنساني ورد على عمر قائلاً:

" أشكرك لدعوتك اللطيفة، رجاءً ارسل لي العنوان والموعد وسأكون بانتظاركم هناك، اتمنى ان اظل ضيف خفيف حتى الانتهاء من الزيارة"

كان رد عمر سريعًا عقب استلام الرسالة فأرسل له العنوان والموعد في رسائل الواتساب ورسالة نصيه أيضًا حتى لا تضيع

***

المشاعرُ المكتومة لا تموت أبداً، إنها مدفونةٌ وهي على قيد الحياةِ وستظهرُ لاحقا بطرقٍ بَشِعة.

سيجموند فرويد

الفصل الثاني

درج طويل لا ينتهي وفتاة في العاشرة من عمرها في يدها دُميه قديمة تهرول في النزول عليه مسرعة يطاردها شخص مجهول يرتدي قناع أسود يخفي ملامح وجهه به فتحتان للعيون فقط فيقترب منها ولا يستطيع أن يمسك بها وهي تهرول مسرعة ولا تستطيع الوصول للطابق الأول.

ينتفض قلبها الصغير وهي تجري وتلتفت حولها منتظرة المساعدة من أحد وتصرخ ولكن دون صوت وكأن شيئًا ما قد عالق بحنجرتها فيحبس الصراخ

هكذا استيقظت نادين في الثامنة صباحًا من نومها الذي لم يستغرق الساعتين وهي تتصبب عرقًا وضربات قلب غير منتظمة إما ان تسبق بدقه أو تقع منها دقه الأمر الذي جعلها تمسك بهاتفها وتتصل بصديقهم المقرب زياد

زياد في منتصف العقد الثالث من عمره، متوسط الطول والوزن يغلب عليه الطابع الكلاسيكي مع البساطة، أصلع ولدية ذقن كثيفه اختلط بها الشيب فزاده وقار وجاذبيه.

كان زياد الأكثر حكمه بينهم، طبيعة عمله فرضت عليه الحكمة والرزانة، يعمل كمدرب حياه.

ظهرت في السنوات القليلة الماضية اهمية وجود مدرب الحياة على الساحة

الجميع يعاني بلا استثناء وبأشكال مختلفة، حتى الأطفال يعانون من التكدس الطلابي في المدارس وإهمال التعليم والضغط النفسي على الطلاب ما بين المدرسة والدروس الخصوصية والواجبات المدرسية وضغوط الأهل أيضًا

الجميع يعاني ولا يشعر أحد الا بمعاناته الشخصية، كل منا غارق في خيباته ويحتاج يد العون، يحتاج من يقدم له المشورة ويدفعه لإنجاز اهدافه وتطوير ذاته.

وهنا نجد دور هؤلاء الاشخاص الذين يرفعون شعار نحن هنا لأجلك.

ترددت نادين للحظات ان تتصل ولكنها لم تستطيع ان تقاوم أفكارها فاتصلت به.

أجابها زياد في هدوء وكأنه كان يعلم باتصالها هذا

أخبرته انها في الطريق اليه وان يستيقظ لاستقبالها

الأمر الذي جعله ينتفض مسرعًا ليبدل ملابس النوم الخاصة به وينتظرها

وصلت نادين إلى منزل زياد في التاسعة صباحًا

فاستقبلها زياد في حديقة منزله ليساعدها على الاسترخاء قائلاً:

-قبل أن نبدأ بالحديث سأُعد لنا القهوة وأُحضر بعض بسكويت الشوكولا، اجلب لكِ شيئًا اخر؟

- يكفي ان تجلب حبة مُسكن للآلام، الصداع يزداد دون توقف

- حسنًا انتظريني لدقائق لن أتأخر

بعد دقائق عاد زياد ومعه القهوة وحبة المسكن وبسكويت الشوكولا قائلاً:

-كيف حال ابنتي المشاكسة؟

ردت عليه نادين

-لست بخير اطلاقًا، ذلك الحلم مجددًا والكثير من الاحلام المرهِقه والتي استيقظ منها وأنا أشعر أنى كنت اجري دون توقف أو أنى أغرق في بحر وأنا مقيده وشخصًا ما نفس الشخص الذي كان يطاردني ولكن تلك المرة يدفع برأسي تحت الماء لينقطع نفسي تمام وأنا مقيدة من يداي وقدماي.

رد زياد مستنكرًا

- لن اكذب عليكِ على اية حال، اتفقنا مسبقًا اني لست طبيب نفسي لأشخص حالتك، بل أنا هنا لأجلك لأخلق لكِ الأمل من اليأس واساعدك قليلاً في التفكير وتحقيق اهدافك ولكن ان أحتاج الأمر إلى تدخل من طبيب مختص ستذهبين رُغمًا عنكِ ودون مجادله.

فلم تُجبه نادين فأكمل حديثه

لاحظت إنك تسهرين كثيرًا هذه الأيام، ماذا بكِ يا نادين؟

قالها زياد وهو يشعل سيجارته

-أعاني الارق بل يعاني الارق مني ثم ضحكت ضحكه ساخرة، أنام نوم متقطع لا أستطيع النوم لساعات متواصلة فيؤرقني صوت العصافير وصوت تساقط قطرات المطر الخفيف في الخارج وحركة أوراق الشجر بالخارج بفعل الرياح فاستيقظ، استخدم سدادات الاذن فيبدأ الضجيج داخل رأسي بالاستيقاظ فتبدأ جلسات جلدي لذاتي ولومها ومن ثم معاقبتي على أصغر المواقف والتصرفات والتي لا ترجع إلى اليوم فقط وانما لعام مضى وربما عدة شهور تسبقه.

انت لا تعرف معنى أن يضيق العالم حولك فتختنق وينطبق صدرك فتبطأ

ضربات قلبك وينتفض جسدك الضعيف..

أصوات كل ما هو حولي تعلوا في آن واحد وتعلوا وتزداد دون توقف، صوت الثلاجة، عقارب الساعة، أنفاس من حولي، ازرار هواتفهم، خطوات أحد المارة بالشارع وصوت التلفاز، كل الأصوات تثير غضبي.

أستطيع أن أميز صوت كل منهم على حدي...

يكاد رأسي أن ينفجر، كيف لعقل الإنسان أن يستوعب هذا الكم من الأصوات كل ليله؟

اود أن يتوقف كل شيء على أهدأ ويرتاح رأسي المثقل وقلبي المنتهك

اشعر كثيرًا بالبكاء ولا أستطيع ولكن قلبي يستطيع فعل ذلك بمهاره، يبكي كل ليله ووجهي يبتسم ويدي منبسطة لكل من حولي تنتشلهم من الكآبة وتربط على قلوبهم وتشدد من آذرهم وتزرع الأمل في قلوبهم.

لكني الآن انهارت بالكامل، لم تعد قدماي تحملني اود الاختباء على أستطيع النهوض مرة أخرى دون سقوط أبدى.

اعتقد ان علىَّ ان آخذ قسطًا كافيًا من الراحة

رد زياد باقتضاب

- قلت لكِ سابقًا انك تحتاجين لمراجعة طبيب نفسي هذه أعراض واضحه لاضطراب ما والاستهانة بأمور كهذه تزيد الأمر سوءً لأكثر مما نتخيل

لو تتذكرين من عدة أشهر كانت تلك الأعراض أقل حده من الآن ولكن إلى هنا وقد وصل الاضطراب اقصاه فأصبح يتحكم بكِ ولا تستطيعين تلجيمه والسيطرة عليه أو تهدئة نفسك حتى

أصبحت أفكارك هي المسيطر الأول على حياتك اليومية بشكل واضح وملموس، هل تريدين ان تصبحي ما نشيت عريض لإحدى الجرائد اليومية بعنوان.

" انتحار شابه في ظروف غامضه"

صمتت نادين لثوانٍ ثم قالت بصوت يرتعش يريد أن ينفجر بالبكاء مع محاولة شديده للتماسك والثبات.

- أوافقك الرأي ولكن تلك الخطوة ثقيلة ثِقل الجبال على قلبي، كيف اثق بشخص لا يعرفني لأحكي له قصتي ونقاط ضعفي وسقطاتي بكل تفاصيلها السيئة، الذكريات تؤلمني كثيرًا والتفاصيل ترهقني وتعصف بي

أنت تعرفني جيدًا وتعرف قدر تمسكي بالحياة ولو ان احدًا غيري عاش ظروفي لفقد الأمل ولربما سلك طريقًا غير شرعيًا لينتقم من كل من تسببوا في تلك الحياة غير العادلة.

لكني يا صديقي أخشى ان تتبدل نظرة الناس لي من الاحترام الذي يظهرونه في لطفهم الزائد إلى تلك النظرة التي توحي بأنني قد فقدت عقلي ويتهامسون أمامي فأفقد ثقتي في نفسي أيضًا وهنا تكون الانتكاسة الحقيقية والتي ستجعلني لا اكمل جلسات علاجي ولا انزل من منزلي إلى أن ينسى الناس ما حدث..

رد عليها زياد بهدوء

- أنت تمزحين بالفعل!! تعرضين حياتك للخطر خشية أن يصفك البعض بالجنون؟ أيعقل هذا!!!

بربك لا تنتظري التسفيق الحار ممن حولك فقط كي تتأكدي انك على الطريق السليم

الطبيب النفسي محل ثقة لمرضاه حلف اليمين ليحفظ اسرار مهنته وحكايات المرضى هي بالأخص اسرار مهنته فإطمئني، الطب النفسي لم يُخلق لعلاج المجاذيب وكما يظن البعض ولكنه لعلاج النفوس النقية التي ارهقتها الحياة

دون رحمه، اتعلمين ان نسبه كبيره من البشر مرضى نفسيين ولكن بدرجات متفاوتة.

سأخذك إلى طبيبي الخاص أزوره كل فترة سأخبره بحالتك باختصار

قالت بخضوع تام للفكرة.

- حسنًا ولكني لست مستعدة الآن.

طبطب زياد على كتفها بلطف فابتسمت بعيون تملأها الدموع قائلة:

- سأكون بخير أليس كذلك؟

ابتسم قائلاً:

-انتِ الخير ذاته ولكني اؤكد لكِ انكِ ستكونين في أحسن حال وستعوضين ما فاتك من نوم

شكرته نادين على حُسن استماعه لها في كل وقت تلجأ إليه فتجده يرحب بها كما يفعل مع الجميع وكما علمهم أيضًا ان الناس للناس وأننا لسنا الا جنود الله على الأرض نقضِ حاجات البعض إن استطعنا دون أن ننتظر المقابل أو الشكَر كصدقه جاريه لوجه الله..

واعتذرت على حضورها في ذلك التوقيت المبكر جدًا ورحلت.

رحلت والتفكير في أمر الطبيب النفسي أرهقها وشتت ذهنها، ذهبت إلى كافتيريا قديمة في منطقة المنيل تطل على النيل مباشرة تجلس بها دائمًا عندما تحاول التفكير في شيء هام أو اتخاذ قرار مصيري لا يُسمح بالتهاون أو الخطأ فيه.

التفكير في أشياء كالذهاب لطبيب نفسي من وجهة نظر نادين تمامًا كالتفكير في الذهاب لطبيب الاسنان والذي لم تقرر الذهاب اليه الا بعد أن وصل الألم بها اقصاه فكان خيارها الوحيد، فهي عندما توضع بين خيارين ينتابها شعور الغرق فتنتظر أن يتدخل القدر فيختفي أحد الخيارين ويتبقى الخيار الاخير لينتشلها من الحيرة والضياع تمامًا كالقشة التي انقذت الغريق ولكن ليس دائمًا ما يكون الاختيار المتبقي هو الأصلح فتأخرها عن الذهاب لطبيب الاسنان جعلها تخسر ضرسها بدلاً من ان تنقذه، كذلك الأمر بالنسبة للطبيب النفسي، في بداية الأمر تكون الأعراض بسيطة ولكن مع تجاهل تلك الأعراض تزيد وتتفاقم ويمكن ان تصل بالشخص لأن ينهي حياته ليتخلص من هذا الألم النفسي الذي يشعر به ويتحكم بحياته ويقيدها، ليقتل ذلك الصوت الذي لا يهدأ بداخله.

تريد ان تفكر بصوتٍ عالي مع شخص أكثر حكمه، في تلك اللحظة فكرت في الاتصال بوالدة طارق وعرض الأمر عليها وبالفعل اتصلت بها..

- صباح الخير، ايقظتك من نومك؟

- صباح الخير يا حلوتي، لا لا أنا استيقظ مُبكرًا، كيف حالك أخبريني؟

- بخير الحمد لله، ايمكنني ان أاخذ من وقتك دقائق، أنا في ازمه حقيقية وأحتاج رأيك كثيرًا فلن يدلني غيرك..

- تفضلي يا ابنتي ولكن قولي لي أولاً هل تناولت الفطور؟

- شربت فِنجان قهوة مع حبه مُسكنه للآلام.

- إذا سأنتظرك نتناول الفطور سويًا ونتناقش في امرك، حسنًا؟

- حسنًا ولكن هل طارق بالمنزل! لا أريد أن يعرف أحد بهذا الأمر إلى أن اقرر متى أبدأ وأعلنه للجميع وأواجه المجهول الذي اخشاه..

- طارق في عمله ولن يأتي قبل السادسة تعالي واطمئني.

أغلقت الهاتف ووضعته في جيب الجاكيت الجلد القصير الخاص بها والذي ترتديه دائمًا عندما تكون على عُجاله من امرها واستعدت للخروج.

ارادت ان تكون أول زيارة لها ذات طابع راقي فذهبت إلى محل ورود صغير بجوار الكافيتريا واشترت باقة من زهور عباد الشمس..

تلقبها نادين زهور أبناء الشمس حيث انها تظل تتبع قرص الشمس اينما ذهبت وتحزن وتنام باكيه عندما تغيب وتستيقظ في اليوم التالي سعيدة لعودة والدتها فتتبعها إلى أن تغيب وهكذا..

ربطتها بعلاقة الأم وأطفالها ذات العامين والثلاثة يتبعون خطواتها بخطواتهم الصغيرة اينما تكون وعندما تخرج وتتركهم يبكون حتى النوم فتعود ويستيقظوا ويتبعون خطاها مرة أخرى وهكذا..

استقلت سيارة اجره إلى حي السيدة زينب مازالت تتذكر العنوان وذلك لحُسن حظها، اعتقد ان عقلها حفظ تلك المعلومات تحَسُبًا لموقف كهذا..

وصلت إلى هناك في أقل من عشرين دقيقه استقبلتها والدة طارق بلُطف تام

اهدتها نادين الورود قائلة" الورد للورد"

فضحكت الأم ضحكه ممزوجة بالامتنان والشكر قائلة" لم يدخل الورد منزلنا منذ عشر سنوات على الاقل، رائحته رائعة"

فأكملت حديثها" تعالي لنجهز الفطور سويًا ونبدأ بالحديث عن ذلك الأمر الخاص بكِ"

ذهبتا إلى المطبخ سويًا وبدأت نادين باسترسال الحديث.

- تعلمين الكثير عن حياتي السابقة وعن مُعاناتي.

حاولت أن اتجاوز تلك الازمه وان أتجاهل الألم والصراخ الذي لا يتوقف بداخلي وكان ذلك جيد إلى حد ما في البداية ثم تحول فيما بعد لإنكار ما أشعر به إلى أن طفح بي الكيل وبدأ الارق يزورني متقطعًا والان أصبح زائري اليومي المعتاد.

لجأت لأحد أصدقائي والذي عرض على زيارة طبيب نفسي وأنا أعلم انه على حق ولكني أخشى حديث الناس إذا علم أحدهم بذهابي لطبيب نفسي.

انا هشة من الداخل وداخلي شاحب ويبكي دونما انقطاع وقلبي مُفتت ولكنى أستطيع إنكار كل ذلك واستبداله بابتسامة مصطنعة اخلعها على باب غرفتي قبل النوم لن أنكر ان نظرات الانبهار من جميع من حولي تكون بمثابة دافع وجبر لقلبي لينتهي اليوم بسلام وأخشى ان اخسر تلك النظرات أو ان تتحول إلى نظرات شفقه فيظهر الشحوب بداخلي للعامة وانهار بسقوط أبدى..

ماذا افعل؟

قالتها بصوت يخالطه البكاء الذي يأبى الخروج.

ردت عليها والدة طارق قائلة:

سأحكي لكِ حكاية لن تصدقيها، تعالي لنجلس على طاولة الطعام وتناول الفطور وسأخبرك بالتفاصيل.

عندما أتم طارق العام الأول من عمره لاحظنا انه يتصرف بغرابه، يناديه والده فلا ينظر اليه، مشتت الذهن ولا ينتبه، يركز مثلاً في بندول الساعة لساعات متواصلة يثبت عينيه عليه ذهابًا وإيابًا، يحرك رأسه الصغير دون توقف أو يرفرف بيديه، يُفضل الانعزال في عالمه الخاص والجلوس بمفرده، صراخ دائم وفزع.

في بداية الأمر ظننا انه يعاني من ضعف في حاسة السمع، ذهبنا وبدأنا في اتخاذ الإجراءات اللازمة من أشعة وتحاليل إلى أن اثبتت انه جسديا سليم بنسبة ١٠٠٪ الأمر الذي جعلنا نفكر في إعادة تلك الفحوصات مرارًا وتكرارًا وذهبنا بهم إلى أكثر من طبيب ليتفقوا جميعًا انه معافى نهائيًا وان جسده خالٍ تمامًا من الأمراض لا قدر الله.

نصحنا الطبيب الاخير بالذهاب لطبيب نفسي للأطفال.

لن اكذب عليكِ وقع الخبر على قلبي كالصاعقة، يصبح الجميع حكماء حينما لا يمسهم الأمر ويصبحوا خارج دائرة الموقف، فكرت أيضًا في حديث الناس ونظرتهم وهمهماتهم.

لم أستطيع النوم تلك الليلة جلست انظر اليه وهو نائم وابكي واناجي الله" اختبار صعب يا الله، ساعدني وارفع عن طفلي البلاء، اشفيه لأجلي يا الله" لم يتركني زوجي في هذه الحالة ظل بجواري يستمع لكلماتي المكررة مئات وربما آلاف المرات دون توقف وهو يُمسك بيده ويربط عليها بيده الأخرى ويحاول تهدئتي.

لم نُطل التفكير ليومين حتى اتفقنا، هذا ولدنا الوحيد والذي وهبنا الله اياه بعد معاناة لم نفقد فيها الأمل ولا يدركها الا الله فكان هو جزاء الرضا والصبر.

صباح اليوم التالي بدأنا في زيارة الطبيب لأول مره، كنت متوترة بعض الشيء ومترددة كثيرًا وخشيت أن يعرف الجيران بأمرنا ولهذا السبب أصبحنا منعزلين.

في أول جلسة وصفت للطبيب كل الأعراض التي لاحظتها وتم تشخيصه بطيف التوحد ولكن بنسبه يمكن علاجها بالعلاج السلوكي لأنه لا يوجد دواء

لعلاج تلك الحالات وطلب مني المتابعة الجيدة والاهتمام به مما دفعني لشراء كم هائل من الكتب الخاصة بالتوحد لزيادة ثقافتنا أنا ووالده في التعامل معه فقرأت قصة اينشتاين والتوحد وقلة ذكاءه الدراسي في البداية ولكنه أصبح اينشتاين العالم الشهير في النهاية.

في جلسات المتابعة التالية بدأت تظهر نتيجة العلاج السلوكي بالتدريج في الحقيقة كان تدرج بطئ ولكن كان هناك نتيجة تبعث الأمل من جديد

دخل المدرسة في سنه الطبيعي للدراسة، لم اطمح أن يكون متفوق دراسيًا، تمنيت فقط أن اراه في المدرسة.

لم يُكون أي صداقات من المدرسة نهائيًا وحتى الآن، كانت تلك أقل الخسائر التي وصلنا لها، لم يكن اجتماعيًا فقط وحمدًا لله على هذه النتيجة.

هذا باختصار شديد حتى لا اشتت ذهنك أكثر مما هو عليه

إذا كنت اخترت الناس لخسرت ابني الوحيد، فمن أبقي لي منهم؟

هكذا أريدك ان تنظري للموقف، الناس يظهرون لكِ احترامهم في وجهك ولكن بمجرد ان تلتفتي عنهم لتهامزوا وتلامزوا الناس لن يرضوا عنكِ في كل الاحوال لذا انظري لنفسك وارأفي بها ومُدي لها يد العون وانتشليها من

ألمها الذي يبتلعها فهذا واجبك تجاهك.

تذكري يا حلوتي لن يشعر بالنار الا الذي يحتضنها لا الذي يراها من خلف زجاج.

ردت نادين بنبرة ثابتة عن ذي قبل فهمت ما تقصدين قوله..

بعد صمت دام لدقيقتين أو ربما ثلاثة قطعته والدة طارق بابتسامة خفيفة قائلة:

وماذا عن الحب في حياة نادين؟

ردت نادين ضاحكه بسخرية

ماذا يعني الحب؟ في تفكيري الحُب جنة الله على الأرض حتى نلقاها في السماء، تمنيت قصة حب أفلاطونية أو ان أعيش قصص الحب القديمة واكتب رسائل ارسلها في كُتب المذاكرة أو البريد وان نلتقي بميعاد ثابت في حديقة الحيوانات عن البحيرة اللامعة المليئة بالبجع الأبيض وأنا ارتدي فستان قصير أبيض به نقاط سوداء وحزام من الوسط تمامًا كفساتين سعاد حسني وشعري منسدل على ظهري وفي قدمي حذاء زجاجي كحذاء سندريلا

تلك الاحلام الطفولية تملكتني إلى أن اصطدمت بأرض الواقع فوجدت انها لا تصلح الا ان تكون احلام مكتوبه أو فيلم قديم أو كخيال علمي وان الواقع في عالم موازي يختلف عن عالمي الكائن داخل عقلي..

الحب في وقتنا الحالي اختلط عليه أشياء عده..

مشاعره الصادقة خالطتها الشهوة وانعدام الاخلاق والبعد التام عن الدين فأصبح كل ما هو محرم مباح باسم الحب..

أعرف ان ليس هناك زمان خاص بالطيبين واخر خاص بالأشرار والخبيثين

لكن فيما سبق كانت المشاعر البريئة تتغلب على تلك النوايا السيئة وتفوقها اما الآن تنتصر نوايا السيئين بنسبه كبيره فأصبح المكسورة قلوبهم باسم الحب لا يُعدوا ولا يُحصوا..

زارهم الحب فأحسنوا سُكنه والضيافة فغرزوا جذوره بأيديهم في القلوب فلم تروقه عذرية قلوبهم فانتزع جذوره منهم دون رحمه ورحل دون أن يترك سبب يشفع له حين يُذكر اسمه.

و كان هذا نصيبي من الحب.

قالتها بنبرة حزينة شيئًا ما ولكنها اخفت هذا الحزن بابتسامة مصطنعة كما

تفعل كل مره، ثم قالت

ماذا حدث لوالد طارق استنتجت من حديثك انه قد توفاه الله ولكنك تتحدثين دائمًا بصيغة الحاضر، هذا يُحيرني أحيانًا ويجعلني اظن أنى اسألت الفهم.

ردت والدة طارق على سؤال نادين الصادمة قليلاً..

توفى زوجي عبد المجيد منذ عشر سنوات تقريبًا في حادث قطار لم نعرف حتى الآن من المذنب في تلك الحادثة أو أسبابها

كان في فجر ذلك اليوم يصلي بخشوع زائد ويبكي في السجود الأمر الذي تسبب في انقباض قلبي ولكني تجاهلت أمر قلبي حتى لا اتسبب له في القلق من مجهول.

قبل أن يخرج مباشرة اطمئن على طارق في فراشه وقَبّل جبينه ثم قبل جبيني وذهب.

ذلك اليوم خالطني شعور اني اراه للمرة الأخيرة أو اودعه وكان ذلك الشعور الذي تجاهلته هو الحقيقي وخرج للعمل وعاد جثه لم يسمحوا لي ان اراه أو اتأكد بنفسي انه فارق الحياة حقًا كما يقولون..

فصرت أتحدث عنه بصيغه الحاضر لأنه حاضر في كل وقت، ذكراه حيه

لا تموت.

لو لم افعل ذلك حتمًا لفقدت عقلي وهكذا يتحدث طارق عن والدة أيضًا

الفراق مذاقه مُر وخاصة ان كان على غفلة دون انذار فيبقى ألمه دائم لا ينتهي، يظل جُرحه مفتوحًا لا يلتئم أبدأ فقط نتجاهله إلى أن يحتك به شيء ما ليعود ألمه من جديد وهكذا.

تلقيت الخبر كالصاعقة شعرت للحظه أنني مسجونه داخل حلم لا يمكنني الهروب منه، بل كان كابوس لا أعلم كيف استطعت أن التقط أنفاسي بعده

رن جرس الهاتف وإذا بشخص صوته أجش قائلاً:

- هذا منزل الأستاذ عبد المجيد؟

= نعم هذا منزله وأنا زوجته لكنه ليس هنا الان، أخبره من المتصل أو كيف اساعدك؟

- يؤسفني قول ذلك ولكن زوجك توفاه الله في حادث قطار منذ قليل، أرجوكِ تماسكي.

نريد أحد من اهله لاستلام الجثمان.

= من؟ كيف؟ متى؟ لابد أنك أخطأت الاتصال، لا لا زوجي لم يَمُت ذهب إلى عمله منذ ساعات قليله لا تمزح أرجوك.

- لا حول ولا قوة الا بالله، إن لله وأنا إليه راجعون

وأغلق الخط

كنت في حالة إنكار كامله، فقط احاول اثبات انه مخطئ.

لم تحملني قدمي فجلست على ركبتي احاول ترتيب الحديث واستيعاب ما حدث ولم أبكي في وقتها ربما لإحساسي ان الرجل مخطئ فقررت ان اذهب واتأكد بنفسي.

كيف للموت أن يأتي هكذا ويمر بنا ويختار بدقه الأكثر نقاءً، يختطف احبائنا من بيننا ما بين رمشه عين واخرى دون وداع..

لو كنت أعلم أنى لن اراه مرة أخرى ما كنت تركته يذهب، أو كنت عانقته عناق المائة عام، لملأت صدري برائحته.

ارتديت البالطو واستأجرت سيارة وذهبت لمكان العمل لأجد كل ما هو ساكن ملطخ بالدم، آثار الدماء على الأرض والقضبان وعلى أجزاء القطار المتبقية وفي كل مكان..

مكان السائق كان مُدمرًا تمامًا إلى أن اختفت معالمه كأنه لم يكن هناك غرفة للتحكم.

حينها لم أستطيع تمالك دموعي، انهارت تمامًا لم أشعر بمن هم حولي كنت انظر إلى غرفه السائق محل عمل زوجي والى ما أصبحت عليه فكيف هو واصرخ إلى أن أغشي على..

نظرًا لما حدث لي لم يسمحوا لي ان اراه وحمدًا لله انهم فعلوا ذلك.

تخيلي اننا تزوجنا قرابة العشرون عام ينقصها عام تقريبًا، طيلة تلك الفترة لم اتحمل ان اراه يسعل أو ان ترتفع حرارته درجه كان قلبي يعتصر لجرح اصبعه، كيف كنت سأراه في تلك الحالة.

فكرت حينها في طارق وكيف سيتلقى الخبر ان والده فارقنا للابد، قلقت عليه كثيرًا.

بعد مراسم الدفن التي تمت أسرع مما تخيلت، اخبرت الجميع ان العزاء مقتصر على الجنازة، في واقع الأمر فكرت في طارق وما يعاني منه خفت أن ينتكس وتسوء حالته.

مضطرة ان اظهر تماسكي رُغمًا عني، ان احبس أنفاسي وأنا اصرخ فكان

قلبي يبكي دمًا وعيني جامدة.

كنت أبكي كل ليله من احتياجي له بجانبي، زوجي وصديقي، عُكازي وملجأي الوحيد، اشتريت مجموعه كشاكيل وصرت أكتب له كل ليله ما حدث، لأخبره كل شيء عندما اراه، لهذا اتعامل انه حاضر يشاركني أحزاني وبكائي وسعادتي وحياتي كامله.

دمعت نادين ولم تستطيع حبس دموعها من كلمات والدة طارق وبكاءها قائلة: بخجل لم تقوى على اخفاءه.

- يبدو أنني تسببت بنزيف جديد للجرح الذي لا يلتئم ولا يُشفى.

ردت عليها والدة طارق مسترجعه نبرة التفاؤل مرة أخرى.

- لا عليك يا حلوتي أنا أتذكر تلك الأحداث كل ليله ولا تغيب عني التفاصيل، دعينا نغير ذلك الحوار.

متى ستبدأي ذهاب للطبيب النفسي؟

= لا أعلم لكن زياد طلب مني الإسراع في الذهاب لخطورة الأمر، في الحقيقة أنا أيضًا خائفة ويجيب ان اضع حدًا لذلك الصراع الكبير داخلي ما بين الذهاب وعدم الاكتراث لمن حولي والعكس واظن انني سأذهب لطبيب

زياد بداية الأسبوع المقبل، أريدك بجواري لا تتركيني، اسألي عني ان اختفيت أو لم اسأل، أخاف ان أموت وحيده في بيتي لا يعلم أحد بوفاتي سوى من رائحتي

لا تفارقني كلمات الرسالة الأخيرة لفان جوخ" أريد أن أعيدَ الأشياء إلى عفويَتها كما لو أنّ العالمَ قد خرج توا من بيضَته الكونيّة الأولى!" هذا ما أريد أن افعله في الواقع ليتني أستطيع أن اسلب العالم تلك السوداوية والحقد والكره التي غطت ملامحه واخفتها واعيد له صفاته الربانية التي ولِد عليها، ان ألون كل ما هو باهت بألوان الزهور ولكنها ترهات، احلام لن تخرج خارج حدود تفكيري الساذج.

سأذهب الآن اقتربت الساعة الخامسة ويأتي طارق.

سأحادثك في أول الأسبوع قبل أن اذهب للطبيب.

فعانقتها نادين عناق حار يوضح امتنانها الشديد لاستماعها ومشاركتها الحل

ذهبت نادين لمنزلها وهي تشعر بأنها ازالت جبل من على صدرها وتنفست بعمق فامتلأت رئتيها بالهواء.

***

يا صديقي إن قلوب الناس مُكتظة بأمور يجهلُها حتى أعز الأقرباء، فمُر هيناً

جلال الدين الرومي

الفصل الثالث

الجمعة الساعة الثانية ظهرًا في إحدى المقاهي الصغيرة في وسط البلد- القاهرة.

يجلس طارق قبل الميعاد بنصف ساعة تقريبًا، ينتظر عُمر واشخاص لا يعرفهم ليراهم لأول مره، ليقوم بأشياء يفعلها لأول مره، مضطرب بعض الشيء ولكن لا بأس استطاع أن يخفي ذلك القلق بتدوين ما يحدث حوله في يومياته.

" التسول المقنع باستغلال عاطفة الأخرين وجعلهم يشعرون بالذنب إحدى اساليب كسب الرزق هذه الفترة، هذه السيدة تقف حاملة اكياس بلاستيكية مليئة بالأغراض وتطلب من المارة نقودًا لتوصلها للبيت اعتقد انها تستطيع شراء منزل آخر الآن، هذا الرجل يستغل أولاده ببيع الورود للمارة رُغمًا عنهم".

وصل عمر دون البقية تبادلوا السلام وحل الصمت، بدأ طارق الحديث

- أين زملاءك؟

= في طريقهم الينا، أخبرني ماذا كنت تكتب هل أنت كاتب؟

رد طارق بخجل

- لا لا لست كاتب وانما أسجل يوميات وخواطر، أشياء تدور بعقلي.

= لما لا تنشرها للعامة لعلها تساعد غيرك أو تكون كنور شمعه في عتمة أحدهم.

- لم أفكر في نشر تلك الكلمات في كتاب أو عرضها على العامة.

= انشئ صفحه على مواقع التواصل الاجتماعي وانشرها هناك.

- لا أقصد أن أكون سخيف حقًا ولكني لا أحب مواقع التواصل الاجتماعي كثيرًا ولا ارى لها فوائد بالمناسبة سوى انها تهدر الوقت باحترافيه وتبتلعه

= اختلف معك في هذه النقطة، مواقع التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين، الخير والشر والنعمة والنقمة ونحن من نحدد أي اداه نستخدم..

هو عالم افتراضي يختلف عن الواقع لكنه مليء بالمعلومات المتنوعة في كل المجالات ومن زاوية اخرى لتبادل ثقافات دول وشعوب مختلفة، ومتابعه للأخبار سريعة رغم أنه ينقل الشائعات سريعًا أيضًا

هل سمعت عن الجداريات أو رأيتها يومًا؟

- أعرف عن جداريات الفراعنة والنقش على الجدران ولكن ما الذي يربطها بمواقع التواصل الاجتماعي!

= أقصد الجداريات الحديثة، الصور أو العبارات التي يكتبها الشباب على الجدران فتعبر عن حالتهم أو عما يدور بداخلهم تشبه جداريات الفراعنة ولكن دون رموز سأريك بعضًا منها

امسك عمر بهاتفه واتجه لمحرك البحث جوجل وبدأ يبحث

انقطع هذا الحديث بوصول نادين ومعها شابين يراهم طارق للمرة الأولى في تمام الثانية والنصف.

التفت عمر لنادين والشابين قائلاً:

في معادكم بالدقيقة قبل أن نتحرك اود ان أعرفكم بطارق صديقنا الجديد المنضم مؤخرًا الينا في جولتنا هذه، طارق اود ان أعرفك بزياد المحرك الرئيسي لنا والعقل المُدبر وهذا يوسف الدرويش يوزع الحب على كل شيء حتى الجماد.

قاطعه يوسف قائلاً:

كل شيء له روح حتى الجماد فلا تؤلمه

كان لكلماته تأثيرات مختلفة، فأثارت الضحك عند نادين وعمر والاندهاش عند طارق وملامح الاقتناع عند زياد

فقال عمر

وهذه نادين تعرفها طبعًا يا طارق لم يكن هذا لقاؤكم الأول فابتسم طارق للجميع ابتسامة مصطنعة بها شيء من الريبة والقلق والقى عليهم التحية.

جلس كل منهم واحضر معه الظرف الخاص بالتبرعات فقاموا بتجميعها وتقسيمها على الحالات كل حاله بظرف خاص مكتوب عليه اسم الحالة ثلاثي برقم العنبر واستعدوا للذهاب أولاً لشراء العصائر والبسكويت والمقرمشات لتوزيعها على النزلاء داخل العنابر.

اتجهوا إلى السيارة فجلس طارق على المقعد الأمامي بجانب عمر وبالترتيب في المقعد الخلفي نادين خلف عمر مباشرة ثم زياد ويوسف

لم يعتاد يوسف على الصمت فقاطعه يدندن بإحدى أغنيات الشيخ ياسين التهامي ساحر قلوب المريدين

" والله ما طلعت شمس ولا غربت

إلا وحبك مقرونًا بأنفاسي

ولا تنفست مسرورا ومكتئبًا

إلا وأنت صهيلي بين أنفاسي

ولا شربت شراب الماء من عطش

إلا رأيت خيال منك في الكاسِ"

سريعًا ما شاركه عمر ونادين الغناء

" أكاد من فرط الجمال أذوبُ

هل يا حبيب في رضاك نصيبُ

جعلت قلبي يهفوا دومًا للقاء

وإذا ذكرت يا حبيبي أطيب

من كثرت الأذكار قلبي هائمًا

هل فؤادي عنك قط يغيبوا

أنى الأسير بحبي فيك

في شرع الهوى

فارحم قلوبا نال منها شحوب

من يغفر الزلات غيرك سيدي

أنى السعيد إذا أتيت أتوب"

استسلم الجميع لهذه الروحانية التي تسكن القلوب فتجعلها أكثر خفه

رُغمًا عنك تجد راحتك بين تلك الكلمات..

والتي رغم بساطتها الا انها تحمل الكثير والكثير بين حروفها..

يتابع طارق كل شيء في صمت تام عله يراقبهم حقيقيون أم مزيفون، هل يوجد اشخاص جيدين بالفعل أم انهم ممثلون بارعون، مظهر يوسف بسيط جدًا لا أقصد التقليل حاشا لله ولكن لباسه قديم ليس متهالك ولكنه قديم وحذاءه به قطع في المقدمة كيف يتبرع بهذه الأموال وهو يحتاجها! أليس فاقد الشيء لا يُعطيه؟

كل شيء يثير فضوله وتزاحم الأفكار داخل رأسه يؤرقه

بدأ يوسف الحديث مع طارق يعرفه بنفسه ليكسر حاجز الريبة الواضح من نظرة طارق رغم ابتسامته المصطنعة ولكن القلوب تشعر بكل ما هو حقيقي وخاصة قلوب الدراويش

عمري سبعة وعشرون اعمل كمدرس لمادة الفلسفة منذ عامين تقريبًا في المدرسة القاطنة خلف منزلي.

لقبوني بالدرويش منذ أن ارتبطت بالتصوف منذ عشر سنوات تقريبًا، أتذكر حينها كنت قد التزمت بالصلاة ولكن قلبي كان معلق بالدنيا ومتمسك بها، أريد الاستمتاع بها قدر ما أستطيع واريد أيضًا الفردوس وجنات النعيم، كان قلبي ممزق بين هنا وهناك

استمع إلى التواشيح والقرآن وما ان أغلقها فأبدأ في متابعة أحدث الأغنيات والفيديو كليب إلى أن قرأت ذات يوم

" أيها القلب تخلى عن كل شيء، يكن كل شيء."

لسيدي جلال الدين الرومي

لم أفهمها من أول مرة فأعدت قراءتها أكثر من مره

من هُنا بدأت رحلتي في البحث

من يكون جلال الدين الرومي وكيف توصل إلى هذه النتيجة؟

هل وصل بالزهد إلى أن استطاع قلبه ترك كل شيء؟ أي درجة حب يحملها إلى الله ليضحي بنعيم الدنيا كاملاً مكملاً لينتظر شيء لا يعلمه الا الله وحده

ما ان توصلت إلى روحي بالتصوف وارتبط قلبي بالله فبدأت اعبد الله كأنني اراه وان لم أكن اراه فهو يراني وكرد فعل تلقائي زهد قلبي امور الدنيا وترك معاصيها وسلكت طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتأديب النفس وتهذيبها وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وتحليته بالأخلاق الحسنة

لم أقل انني ملاك لا يُخطئ ولكن احاول واجتهد أن يقل خطأي أو ينعدم

رد طارق ليشاركه المناقشة.

منذ متى تذهبون لهذه الجولة؟

رد يوسف

منذ عامين تقريبًا وتكون جولتنا شهريه بعد قبض الرواتب مباشرة فيقتطع كلا منّا ما يستطيع دفعه في ظرف خاص ويحدث كما رأيت فقرة التوزيع وكتابة الاسم وهكذا، كان زياد صاحب الفكرة ولاقت استحساننا جميعًا خصوصًا عُمر

تدخل عمر قائلاً:

حقًا رجحت تلك الفكرة لأني أشعر بمعاناة المرضى الذين لم يعد يسأل عنهم ذويهم وتبرأ منهم اهلهم لأي سببٍ كان، فقد كنت نزيل إحدى المصحات منذ

قرابة الأربع سنوات أحضرني والدي لأنني كنت مدمنًا للكحول ولم يستطيع أحد كبحي أو ايقافي بل كان الأمر يزداد سوءً خارج المصحة

سرقه وضياع وفشل بالدراسة وارتكاب المعاصي بالجملة إلى أن اودعني ابي بالمصحة حوالي عام فخالطت المرضى وتحدثنًا وتعلمت دروسًا لن انساها خلقت مني شخصًا جديدًا ولِد هناك من رحم المعاناة.

رأيت مدمن الكوكايين الذي قتل والدته عندما رأته يسرق أموال المنزل وحاولت ايقافه فقتلها تحت تأثير التعطش للمخدر وهذا كان سبب في عدم انتكاستي بعد خروجي، دائمًا صورته لا تفارق مخيلتي كفيلم فيديو قصير

ظهرت معالم الصدمة على وجه طارق وفي داخلة يتساءل، كيف يصرح هؤلاء الاشخاص بتلك العيوب! ما هذا الكم من التصالح مع الذات!

لقد وصلنا قالها عمر قبل أن يوقف عمل سيارته بلحظات

وصلوا فدخل عمر إلى الإدارة ليودع التبرعات ويتابع احتياجات النزلاء المتكفلين بهم ومتابعة حالتهم الصحية وبدأت نادين بتوزيع الاكياس البلاستيكية التي بها العصير والبسكويت فيما بينهم لينتشر كل منهم في عنبر ويبدأ في توزيع العصير والبسكويت على النزلاء.

سيده في العقد السادس تقريبًا بشعر أبيض طويل يشبه القطن وربطة شعر تجعله اشبه بزيل مُهرٍ صغير ناعم بوجه مستدير وملامح توضح كم كانت جميله في شبابها ترتدي عباءه رماديه وتجلس في سريرها في يدها دُميه قديمة وفرشاة شعر تمشط لها شعرها بنعومة

اتجه اليها طارق دون أن يشعر ولكنه قلبه الذي قاده اليها فامسك بيده العصير والبسكويت الخاص بها دون أن ينطق بحرف واحد فنظرت له مندهشة وعينيها مليئة بالفرح قائلة:

- هذا لي! لي وحدي؟

رد عليها قائلاً: ولك المزيد فأعطى لها بسكويت إضافي، ما اسمك؟

- كوثر وأنت؟

انا طارق، كيف حالك اليوم؟

بخير، لا لست بخير

خانتها دموعها وبكت قائلة:

- لا أريد الموت هنا

اعتصرت كلماتها قلب طارق

واصلت الحديث

- اخرجني من هُنا من فضلك، أنا في هذه المصحة ما يقرب من أربعون عامًا بعد أن توفت ابنتي ونحن نشتري ملابس العيد.

افلتُ يدها من يدي لأدفع حِساب المشتريات فهربت ولم انتبه باتجاه السيارات وكان قضاء الله وقدره أسرع من اللحاق بها، اتهموني بالإهمال والتسبب في قتلها.

لم أستطيع النوم لمدة عام كنت أراها في سريرها وأراها وهي تلعب وأراها تضحك وتبكي، كنت أراها في صوحي ونومي، لم يتحملني زوجي طلقني بعد وقت قصير من وفاتها واودعني أخي بالمصحة لتلقي العلاج هكذا قال لي حينها ولكنه اراد أن يتخلص من مسئوليتي

ولم يسأل عني أحد من عائلتي منذ أن تركني أخي هنا ورحل، رُغم أنني تعافيت منذ عشرة أعوام الا إنني لن أخرج لعدم وجود سكن أو محل اقامه يبدوا انهم غيروا محل اقامتنا القديم ولم يتصل أحد بالمصحة ليخبرهم بالبيانات المتغيرة حتى ارقام الهواتف اختلفت ويبدو أنني سأموت هنا، لا

أريد أن ادفن بمقابر الصدقة أريد يستريح جسدي في مقابر العائلة

انا حاصله على دبلوم زراعه وأستطيع العمل في المحلات، ساعدني لأجد عمل واخرج من هنا رجاءً.

ارتبك طارق

كيف سيجد عملا لعجوز مسنه تتجاوز الستين عامًا لا تستطيع الحركة

فربط على يدها بحنو قائلاً:

سأتحدث مع المسئول واطلب منه ذلك لا تقلقي.

اطلبي شيئًا آخر، فكري على مهل واطلبي وليقدرني الله ويساعدني ان انفذه لكِ

شردت للحظات ثم قالت بعيون لامعه وابتسامة كبيره كشفت ذلك الفراغ داخل فمها الخالي من معظم اسنانها

اريد عباءه جديد مطرزه بالورود اليدوية وربطات شعر ملونه بألوان الورد في العباءة واقراط طبيه لاذناي ملونه أيضًا.

ابتسم طارق لتلك الطفلة ذات الشعر الأبيض، مازالت عفويه وبريئة، تبهجها ربطات الشعر الملونة والاقراط والملابس تمامًا كالأطفال

ثم قال

لكِ ما طلبتي بإذن الله سأحضرهم في أقرب وقت وسأترك رقم هاتفي هنا، إذا خطر على بالك أو اردتي شيئًا آخر اطلبي من طاقم التمريض الاتصال بي في أي وقت لا تهتمي بالوقت كثيرًا.

يجب أن اذهب لأوزع تلك العصائر والبسكويت قبل انتهاء ميعاد الزيارة، سررت جدًا بلقائك.

على موعد قريب جدًا لن أتأخر عليكِ أبدأ اعدك بذلك

وداعًا...

تركها طارق واتجه إلى الإدارة ليضع رقمه في بيانات السيدة العجوز ويبلغهم انه متكفل بها بالكامل وقد كان

بعد أن أنهي تلك الإجراءات أحس أشياء لم يشعر بها من قبل

تبدل الهروب من التجمعات وحُب العزلة والانطواء إلى حياة مليئة بمساعدة

الغير عن قرب وتعاملات اجتماعية واحتكاك ب الأخرين والشعور بالمسئولية عرض المساعدة.

فتوقف الزمن حوله لثوانٍ معدودة بدأ فيها ينهال على نفسه بالأسئلة

ماذا حدث ومتى؟

كيف فعلت الآن ما فعله عمر ونادين معي بالمشفى! كيف تبدلت إلى النقيض!

ما الدافع الخفي وراء هذا التحول الملحوظ؟

هل العمل الخيري حقًا مُعدي؟

ما أن تراه الا أن يقف الزمن وانت تكرره دون وعي منك أو أدراك

طاقة الحب غير المشروط والخير وروح المساعدة والتعاون ممن حولك تزيل الحقد من القلوب وتملأها بتلك الطاقات دون وعي منك او ادراك ما ان توضع في الظرف المناسب فتبدأ بتوزيعها على من حولك رغمًا عن ارادتك أيضًا.

امتن طارق كثير لتلك المشاعر التي يختبرها للمرة الأولى ويشعر بلذتها وقوتها.

وزع طارق كل ما لديه من عصير وبسكويت وبدأت عينيه بالتقاط الصور ثم خرج إلى شرفة العنبر وبيده دفتر مذكراته الصغير وبدأ بتسجيل قصة النزيلة كوثر

" ما ان دخلت من بوابة المصحة الا ان امتلكتني مشاعر مختلطة من السعادة والقلق، قوه خفيه تدفعني لعمل الخير، للجلوس ومناقشة النزلاء عن احوالهم وتعجبت لما قمت به مع كوثر تلك الطفلة العجوز، لسبب غير معروف شعرت بالمسئولية تجاه تلك المرأة، تعاطفت كثيرًا معها واعتصر قلبي ووددت لو استطعت أن اخدها معي لتعيش أيامها المتبقية سعيدة دون بُكاء أو خوف من ان تموت وحيده لا تجد من يتذكرها.

ظننت ان كوثر هي الحالة الإنسانية الوحيدة وان باقِ النزلاء مازالوا يخضعون للعلاج.

الا ان رأيت تلك المرأة التي تركت منزل أخيها لأنه يعذبها ويهينها فاحضرها للمصحة وتركها منذ ثلاثون عامًا إلى أن فقدت قدرتها على الرؤية من كثرة البُكاء.

وتلك المرأة التي تردد انها تعمل وزيرة بيئة وانها ابنة مليونير معروف وانها حاصله على بكالوريوس تجارة وتعمل كطبيبه واستطاعت بخبرتها بناء

اسطول كامل من العمارات في شهر واحد.

وتلك العجوز التي تتدعى انها رسامه معروفه وأنها من أشهر الفنانين في الوقت الحالي ولوحاتها تُباع بملايين.

ورأيت ذلك العجوز الذي لا يستطيع ايقاف تلك الأصوات في اذنه تارة يهدأ وتارة أخرى يتلفظ بأسوأ الالفاظ ويثور إلى أن يسقط مغشيًا عليه.

كل هؤلاء تبرأ منهم ذويهم وتخلوا عنهم، تركوهم هنا إلى أن يسدل ستار الحياة وتنتهي الرحلة خشية أن يعرف الجيران

اعتصر قلبي اليوم كثيرًا ولكن في المقابل اختبرت مشاعر لأول مرة اعطتني قوه ودافع خفي للقيام بتلك الزيارات مرارًا وتكرارًا"

بعد انتهاء ميعاد الزيارة اجتمع الكُل عند السيارة في الجراج الخاص بالانتظار والذي ينتهي العمل به بالنسبة للزائرين في نفس انتهاء المواعيد الرسمية للزيارة.

تركهم يوسف وذهب عقب اتصال تلقاه على درج المصحة ابلغه فيه صديقه ان والد زميل لهم قد توفاه الله منذ قليل فما ان أغلق الهاتف اعتذر للجميع واستقل اتوبيس النقل العام.

جلس طارق في نفس المكان على المقعد الأمامي وخلفه مباشرة جلس زياد وبجانبه نادين يتحدثان بهمهمة ويتفقان على موعد زيارة الطبيب النفسي غدًا السبت وطلبت منه نادين ان لا يُخبر احدًا حتى تستطيع المواجهة.

تأثر طارق بتلك الزيارة داخليًا وخارجيًا تأثرًا ملحوظًا وكأن حِملاً جديد وضِع على عاتقه فجعله يشعر بالانتماء لهذا المكان، لم ينسى انه يومًا كان زائر دائم لإحدى العيادات والتي كانت صاحبة الفضل لما هو عليه الآن

يحدثه صوت خافت بداخله يخبره بأنه يجب أن يفعل شيئًا حيال هؤلاء المغلوب على امرهم، المتروكين في مصحة امراض نفسية وعقلية رُغم شفاءهم التام.

ألم يستحقوا حياةً كريمة على الاقل تعويضًا لتلك السنوات القاسية، ألم يستحقوا أن يحيوا بآدميه في أيامهم القليلة المتبقية

اوصلهم عمر كلُ على منزله ورحل

***

أستطيع أن أتخلّص من كل شيء وأنا أكتب

حيث أنّ أحزاني تختفي

وشجاعتي تولد

للكاتبة الألمانيّة آن فرانك

الفصل الرابع

في الواحدة بعد منتصف ليلة السبت يجلس طارق في شرفة غرفته الصغيرة الضيقة يرتشف فنجان القهوة ببطء.

متأملاً عظيم صنع الله، القمر مضيئا هذه الليلة بطريقة تخطف الانظار والنجوم تغطيها الغيوم تارة وتارة اخرى تبتعد عنها فتظهر بريقها.

كان في صِغره يتخيل ان النجوم هي ارواح الموتى.

تستقر اجسادهم في المدافن كمساكن جديده لهم وتطير ارواحهم لتلتصق بالسماء ولهذا نجد نجومًا لامعه أكثر من اخرى ونرى نجومًا كادت ان تنطفئ

فكان يُصنفها ان تلك النجوم الأكثر لمعانًا تعود ملكيتها للموتى الجديدين الذين لم يمر على موتهم زمن بعيدًا وتلك التي كادت ان تنطفئ تعود للموتى القدامى الذين نسيتهم عائلتهم فكادوا أن ينطفئوا تمامًا ويختفوا أو يسقطوا كصخره مفتتة في صحراء ما ويختلط فتاتهم بالرمال.

يطارده التفكير في فكرة الصفحة على مواقع التواصل الاجتماعي والجداريات التي عرضها عليه عُمر اليوم قبل الذهاب للزيارة يفكر كثيرًا ويربط الأحداث ببعضها البعض يدور بداخله.

- من أين ابدأ! لطالما شعرت بالمسئولية تجاه كل شيء وعِشت في جلد ذاتي مرارًا وتكرارًا لأيام وشهور لا انعم بالنوم الهنيئ ليطاردني ما أهرب منه داخل احلامي.

انا أعاني من التفكير المفرط في كل وأي شيء بأدق التفاصيل

لا يمكنني الهروب حتى بالنوم فأظل أفكر وأفكر وأفكر حتى أفكر في شيء آخر.

ادور داخل حلقه مغلقه طرفاها أنا ونفسي.

التفكير المفرط يشبه كثيرًا متاهة كبيره وأنا ضائع بداخلها كفأر صغير يحاول بكل الطرق الهروب من ذلك الممر إلى أن يخرج فيجد نفسه دخل لتوه ممر آخر إلى أن يسقط مغشيًا عليه من الإرهاق.

هكذا أنام عادةً كبطارية سيارة تدور لأيام بلا توقف.

هل حقًا كما قال عُمر ان كلماتي التي ادونها داخل مذكرتي الصغيرة يمكنها مساعدة غيري في حياتهم.

إذا كان يمكنني عرض أفكاري ويستدل بها غيري أو ان أنقذ حياة شخص ما مثل كوثر فلما لا!

لكن أنا لا أحب التواصل الاجتماعي ولا أحب ان تؤخذ كلماتي على سبيل المزاح أو الاستهزاء والتقليل منها وأيضًا لا أريد أن أصبح بطل شعبي معروف بأني صاحب رأي وقضية ومعارض لأني لست كذلك

ما أنا الا شخص يريد أن يساعد ولكني لا أملك كل وسائل المساعدة فأكتب كل ما أتمنى داخل مذكرتي واطلب من الله أن يحققه ولكن الدعاء دون خطوة للحل لا تنفع ولا تشفع وفي اغلب الاحيان لا يُستجاب.

اذًا لنبدأ رحلة البحث عن الجداريات لنرى كيف يمكنني المساعدة وترك بصمه تذكر العباد بدورهم حتى لا تلهيهم الدنيا ومشاغلها عن دورهم الحقيقي في الحياة.

كان قد انتهى حالا من مشاهدة فيديو يناقش مشكلات الايتام المتواجدين بإحدى دور الرعاية.

متأثرًا بتلك البراءة التي لا حول لها ولا قوه.

ماذا فعلوا ليصبح هذا مصيرهم وتلك حياتهم.

ظل يبحث ويُفتش في مذاكراته حتى فجر ذلك اليوم وقرر أن يجرب لمرة واحدة ولن يكتب اسمًا ولكن سيضع علامة مميزة على الجدار

فكر في المكان الذي سيكتب عليه لأول مرة محاولاً أن يتناسى سوء خطه

ارتدى معطفه وشال يغطي نصف وجهه واخذ معه زجاجة رش الالوان ونزل.

بجانب بوابة منزلهم الحديدية منزل مهجور مهدوم من الداخل ومتروك الاسوار فقط تُحيط بتلك الذكريات المهدومة بالداخل والضحكات والدموع المتساقطة بين تلك الانقاض علَّها تحفظ ما تبقى منهم.

ترتعش يداه كطفل يخط أول سطر في حياته ويخاف أن يخطئ الأملاء والخط

تنفس بعمق وبدأ الكتابة فكتب

"دور رعاية الايتام امتلأت، اتبعوا اساليب تحديد النسل ان كنتم غير قادرين على رعاية أطفالكم أو الاعتراف بهم من الاساس"

ورسم تحت هذه العبارة قلب مصاب له عين وينزف دمعًا

ما ان انتهى الا ان رحل سريعًا قبل أن يراه أحد

صعد إلى منزله وخلد إلى النوم سريعًا لأول مرة ينام بهذه السهولة دون عناء

يبدوا ان تلك الفكرة سلاح ذو حدين ستلهم غيره وتساعده على النوم بسهولة قريبًا.

ظهر السبت انهت نادين للتو جلستها الأولى مع الطبيب النفسي واتجهت إلى منزل والدة طارق بسيارة اجره لتروي لها ما حدث بالتفاصيل في هذه الزيارة الأولى

نزلت نادين من التاكسي لترى تلك العبارة المكتوبة على السور الملتصق ببوابة منزل طارق ووالدته

تلك العبارة التي لامست ذلك الجزء الخفي بداخلها والذي خرج لتوه من دقائق في غرفة الكشف دخل عيادة الطبيب فأخرجت هاتفها والتقطت صوره للعبارة والرمز المرسوم تحتها ونشرتها على صفحة الفيس بوك الخاصة بها والتي لاقت استحسانًا كبيرًا وتفاعل سريع وانتشرت خلال ساعات من نشرها

وصلت نادين واستقبلتها تلك السيدة صاحبة الابتسامة الدائمة والوجه البشوش قائلة:

- اهلاً اهلاً يا حلوتي تبدين في حال أفضل من الزيارة السابقة

ردت عليها نادين قائلة

- أشعر بتحسن كبير الحمد لله، خطوة زيارة الطبيب كانت تثير قلقي عندما كانت فكره فقط لكن الآن عندما ذهبت بنفسي وجلست مع الطبيب وتحدثنا اظنها أصبحت مطمئنه شيئًا ما.

لم يجبرني على الحديث على العكس بدأ يمازحني في البداية وتحدثنا عن كرة القدم والفن وأشياء عده ومن ثم بدأ الأسئلة في لطف بالغ جعل قلبي ينفتح ويخرج ما بداخله بكل سلاسة واسترسال ولم يقاطع حديثي..

ساعة مرت كما لو انها دقائق لا تتعدى العشرة

اتمنى ان تمر الجلسات المقبلة في سلام كأول مرة

ردت والدة طارق في سعادة تظهر بابتسامة تخبي شيئًا ما ككل الامهات

- يبدو ان القصة لن تقف عند مجرد طبيب فقط ويبدو انها ستتطور لقصة حب وزواج ويصبح الطبيب طبيب القلب والحبيب

ضحكت نادين ساخرة وضحكت معها والدة طارق ثم قالت

سأذهب للشركة الآن عندي اجتماع مهم مع الموظفين لوضع خطه جديده للشهر ومتابعة نتيجة الخطة الحالية أتيت لأطمئنك كما اتفقنا من قبل

أراك قريبًا..

في مساء السبت بينما كان طارق يتصفح موقع تواصل الاجتماعي فيس بوك ليجد تلك الجدارية التي كتبها فجر اليوم

قبل أن يغوص في نوم عميق افتقده طويلاً ربما سنوات

تعجب وتعطل عقله كمحرك سيارة قديمة عن التفكير متسائلاً:

ما هذه السرعة لم يمر أكثر من نصف يوم حتى تنتشر بهذا النطاق الواسع

كل هؤلاء عبرت عنهم تلك الكلمات ولمست قلوبهم!

توقعت ان تروق لأشخاص لا يتعدى عددهم أصابع اليدين معًا، متى وكيف وصلت لكل هؤلاء.

قرأت ذات يوم للأديب الأمريكيّ إرنست همنغواي قال عن تأثير الكلمة على الاشخاص الذين يصعب عليهم اختيار الالفاظ المناسبة للتعبير عما يشعرون به.

" كل ما عليك القيام به هو كتابة جملة واحدة صحيحة، أكتب الجملة الحقيقية التي تعرفها"

بلا استثناء حياتنا ممتلئة، نبوح فقط بما نريد البوح به والافصاح عنه ونخفي ما نريد اخفاءه لتأتي كلمه مجرد كلمه تنبش بذلك الجزء الخفي ومخزن

الذكريات السرية لتعيدنا لهذا المكان مرة أخرى وتضعنا امام مرآه نرى أنفسنا خلالها..

الكلمات تُعيد خلق المواقف بمشاعرها وتفاصيلها

ولهذا السبب نجد العبارات المؤثرة المتعلقة بالماضي تنال استحسان الجميع وتنتشر بسرعة غير متوقعة.

حاول أن يتناسى شأن تلك الجدارية وذهب يشاهد التلفاز مع والدته يشاهدان فيلمًا قديماً ويتناولان الكعك مع الشاي.

تضحك الأم بصخب من صميم قلبها بينما يجلس ولدها امام التلفاز شارد، جسده في مكان وعقله في آخر.

ما ان انتهى الفيلم الا ان غلبه النعاس ولكنه حرص على أن يضبط المنبه فجرًا.

في تمام الساعة الثالثة فجر الاحد استيقظ طارق وارتدى ذلك المعطف الخاص به والشال الذي يغطي وجهه واخذ حقيبة ادواته وتوجه ليكتب الجدارية الثانية على نفس السور المكتوب عليه الجدارية الأولى..

سور المنزل المهجور المجاور لبوابة منزله ولكن هذه المرة الجدارية ستكون خاصة بكوثر تلك الطفلة العجوز فكتب:

" خلقكم الله بصفات ربانيه لا تُدنسوها، لا تعاقبوا المرضى النفسيين لأنهم مرضى بل احتضنوهم وقدموا لهم الورود واقبلوهم ولا تلقبوهم بالمجاذيب وتخافوا منهم، مرضهم ليس معدي ولا هم بأكلي لحوم بشر لتخشوا زيارتهم"

كتبها ووضع تلك العلامة تحتها ولكن هذه المرة هو الذي قام بتصويرها وعاد إلى منزله على الفور قبل أن يراه أحد المصلين وهو في طريقه للمسجد لصلاة الفجر

عاد إلى فراشه كأن شيئًا لم يكن وغرق في نوم عميق

في صباح الاحد

منغمس طارق في عمله المعتاد وفي فترة الراحة بدأ يتصفح الفيس بوك الخاص به وقام بنشر الصورة التي التقطها للجدارية الثانية

في ذلك التوقيت رأتها نادين ولاحظت وجود تلك العلامة تحت العبارة فقامت بالتعليق على الصورة في نفس اللحظة

- أنت من التقت تلك الصورة؟

رد طارق

- نعم قمت بتصويرها مساء أمس وأنا عائد من العمل

انا لا اجيد التصوير ولكن هذه الكلمات راقت لي

ردت نادين

- يبدو ان كاتب تلك الجداريات يريد أن يبعث لنا رسالة ما

يختار كلماته بعناية بالغه ويسلط الاضواء على قضايا هامه.

هل تعلم ان بعد الجدارية الأولى والتي لم يمر عليها غير يوم واحد فقط قام مجموعة من الطلبه المتطوعين بجمع بعض من ملابسهم الخاصة والالعاب وذهبوا إلى إحدى دور رعاية ايتام وقدموها وجمعوا جزء من مصروفهم الشخصي وتبرعوا به للجمعية.

لا أعلم ما في كلماته لتصل بهذه السرعة وتداعب الإنسانية بداخلنا فتحرك القلوب المتيبسة.

على اية حال أنا سعيدة جدًا بهذه المبادرة..

كانت هذه الكلمات تشبه نسمة الصيف الرقيقة لامست قلب طارق وامتلأ بالأمل، تمنى كثيرًا لو استطاع أن يغير في الواقع ولو ما يعادل تحريك حجر عن الطريق ليزيل الاذى قدر استطاعته.

قالت له والدته ذات مره في طفولته

" ان لم تستطيع تنظيف الشارع فلا تلقي القمامة فيه وضعها في حقيبتك وان رأيت قشرة موز في الطريق فأزح الاذى عنه ولا تنتظر أن يمجدك أحد"

وهذا فقط ما يريد، أن يزيح الاذى أو يسلط الضوء على هذا الاذى عله يُزال أو يتوقف على الأقل.

لم يكمل طارق العمل في ذلك اليوم وذهب ليشتري لكوثر ما تمنت قبل أن ينتهي ميعاد الزيارة.

فذهب إلى محل قديم على الطراز الكلاسيكي للملابس النسائية كائن بجوار عمله يعلوه لافته خشبية مكتوب عليها اسم المحل وتحتها عبارة

"يوجد لدينا كل ما تحتاجه المرأة"

دخله ليجد سيده في منتصف الأربعينيات ترتدي نظارة طبيه تجعل عينيها أكبر من حبة عين الجمل تتصفح جريدة اليوم

ألقى عليها التحية فتوجهت اليه قائلة: بابتسامة

كيف اساعدك؟

رد عليها

في حقيقة الأمر هذه المرة الأولى التي افعل بها ذلك.

ومن ثم أملي عليها طلبات كوثر كاملة واوضح لها انه لا يعرف مقاسها ولكن أعطاها تفاصيل طولها وحجمها.

كانت السيدة متعاونة ولطيفه ساعدته في اختيار الالوان ووضعت العباءه وربطات الشعر والاقراط في علبه ملونه مليئة بالورود وربطتها بشريطه بيضاء تشبه زهور الياسمين وابتاعت له عطر بمستخلصات الورد رائحته مبهجه وتملأ النفس بالانتعاش.

وضعت هذه المشتريات في حقيبة بلاستيكية كبيره فأخدها طارق وأعطاها المبلغ المطلوب وذهب ليستقل سيارة اجره وطلب من السائق أن يسرع حتى يصل أسرع تبقى ساعة واحدة وتنتهي مواعيد الزيارات.

وصل طارق وبقي أقل من نصف ساعة على انتهاء الزيارات كان حينها يتصبب عرقًا من القلق ان تكون كوثر لا تتذكره.

وصل إلى العنبر ليجدها جالسه في نفس هيئتها التي راها أول مرة بمجرد ان رأته فرحت كفرحة طفل جاء والديه بعد سفر طويل وقالت

- صدقت وجئت ظننتك لن تأتي كما فعل أخي.

أقدم عليها طارق ولم ينطق بحرف فأعطى لها الحقيبة البلاستيكية ثم قال لها افتحيها.

فتحتها لتجد علبه مليئة بالورود الملونة عليها ربطه بيضاء بها كل ما تمنته وزجاجه عطر على غلافها الخارجي زهور أيضًا.

غمرتها السعادة فصاحت من فرط الفرحة تتمتم بكلمات لم تكن واضحة لطارق

تمنت لو انها استطاعت الوقوف على قدميها مجددًا وارتداء العباءة الملونة ذات الورود وربطات الشعر الجديدة والاقراط وتدور وتدور وتدور كفرحة الأطفال بملابس العيد.

لم يكن هناك الوقت الكافي للحديث لقد انتهى ميعاد الزيارة سريعًا كلمح البصر.

هكذا دائمًا تمر الاوقات السعيدة دون أن نشعر.

تسترق الساعات خلسه فتشعر وكأنما كانت خمس دقائق أو عشرة

وان الروح لم تشبع بعد وتريد المزيد من السعادة لاستعاضة الاوقات التي كسرها الحُزن واحرقها كعود ثقاب في كومة قش ثم تتساقط امطار خفيفة بارده فتهدأ النيران قليلاً حتى تنتهي الامطار وترتفع النيران إلى أن يجعل الله لها سببا لتهدأ مرة أخرى.

والقلب في لحظات السعادة ينتشي ويتناسى الساعات بل الأيام القاسية والتي آلمته وتركت به ندوبًا عميقه لن يمحيها الزمن ولكن تلك اللحظات السعيدة والتي نضحك بها من القلب ترمم عمق الندوب فتخفف حدتها وتصلح ما يُمكن إصلاحه.

غادر طارق المصحة واستقل المترو والذي كان مكتظ بالناس لدرجه تمنع وصول الهواء داخل العربات فوقف ملتصق وجهه بالباب ليلتقط أنفاسه بوصول القطار لكل محطه وفتح الأبواب.

في طريقه إلى المنزل بدأ في تصفح الفيس بوك الخاص به فوجد تفاعل على تلك الجدارية بين مؤيد ومعارض من قِبل مؤسسات نفسية وتربوية واشخاص عاديين متعاطفين ومتحمسون للفكرة ولنشر الإيجابية والوعي بين طبقات المجتمع بالتعامل مع تلك الحالات.

وبين تلك النماذج التي لا تزال تقتنع بأن المرض النفسي مهما كان تشخيصه ما هو الا جنون والمجنون يعيش بالمصحات حتى يتوفاه الله وان ما باليد حيله.

فرح وابتهج ولكن تزعزع قلبه قليلاً

هل تورط في شيء ما! هل اتخذ دور المصلح والذي يتوجه الناس بأمره لفعل أشياء لم يفكروا بها من قبل

ولما لا؟ قد أكون سبب في نشر الخير والسلام

ولكن ماذا لو انكشف امري لا أريد أن أصبح معروف لم افعل ذلك بدافع الشهرة وانما لأقوم بدوري هل اختبئ خلف شاشات الحاسوب اتابع الأخبار واثور وأغضب بين سطور مذكرتي؟

انا لم احرض أحد على شيء به ضرر فقط احاول المساعدة

وتطارده الأفكار ما بين أن يكمل تلك الطريق التي بدأها أو يكتفي بهذا القدر

ولكن القرار متوقف على ما ستفعله الجدارية الثانية

الى أي مدى تأثر بها الناس كمجرد كلمات لامستهم أم لكونها خطوات سيتم اتخاذها.

في مساء اليوم وجد انتشار اوسع للجدارية ولكن لم يكن هناك اية إجراءات تم اتخاذها من قِبل المتعاطفين وهذا ما جعله ينتظر يومًا آخر.

وهذا ما جعله يشعر بالإحباط وان ما فعله كان مجرد شيء بلا قيمه حتى وان كانت لأول جداريه نتيجة بسيطة الا انه كان متحمس بشده لأجل تلك الجدارية الثانية والتي كان يود ان تلقى نتيجة أفضل كزيارة للمرضي تخفف عنهم ألم الوحدة أو توفير مكان للمعيشة.

دار تجمع نزلاء المصحات النفسية الاصحاء الذين تم شفاؤهم وليس لهم مآوى .

تكون مليئة بالغرف بها الكثير من الغرف

كل غرفه تتحمل اثنين أو ثلاثة اشخاص على الأكثر وبها تلفاز يمكن مشاهدته من الاسرّة دون عناء ودورة مياه.

تشبه لدار مسنين ولكنها ليست دار مسنين بالمعنى الحرفي لكنها بالمجمل منزل للمشردين سواء كانوا كبار سن أو لا وتوفير فرص عمل للقادرين منهم حتى يستطيع توفير منزل للانتقال به.

كل ما اراده أن يشعر هؤلاء بأنهم مكرمون قبل أن ينسدل ستار العمر عنهم

وان لهم الحق في الحياة الكريمة كتعويض لما شعروا به من قلة حيله وغصة قلب أو انه شخص منبوذ وغير مرغوب بوجوده ويخاف أن يقترب منه الناس.

اراد فقط أن يعتذر لهم نيابة عن الآخرون ولكن بطريقه مختلفة ليست بالقول ولكن بالفعل

وهذا بالضبط ما قاله لعمر وهما يتناقشان عبر تطبيق الواتساب بشأن زيارتهم للمصحة.

والذي اقترح عليه كتابة تلك الأفكار ونشرها على صفحته الخاصة ويدعو الأصدقاء للمناقشة ومن ثم ستتحقق تلك الفكرة ويصل إلى ما اراد أن يفعل ويجبر بقلوب مكسوري الخاطر منتظري الموت لينتهي العبث.

الأمر الذي جعله يشعر بالحماس ليكتب الجدارية الثالثة:

" الأطفال الذين يرتكبون الجرائم التي تخص الشرف قتلوا براءة الأطفال داخلهم ويجب معاقبتهم كمجرمين وليسوا كأطفال صفع أحدهم الاخر"

***

لا تعترف بالفشل ما لم تكن قد جربت آخر محاولة

ولا تتوقف عن آخر محاولة ما لم يتم النجاح.

الفصل الخامس والاخير

انتهت نادين للتو من جلستها النفسية وهي تشعر فعلا بتحسن ملحوظ يكفيها انها لم تعد تسقط من على الدرج العالي وكف الغرباء عن الركض خلفها والظل الكبير الذي يكتم صرختها ويكبل ايديها وأقدامها في احلامها.

تلك الاحلام التي كان تمنعها من النوم لأيام تحاول ان تبقى مستيقظة قدر استطاعتها فتشرب القهوة بكميات تكفي لتوقف قلبها حتى توقفت القهوة عن جعلها مستيقظة.

امتنعت عن شرب المنبهات وعن التدخين وبدأت ممارسة الرياضة في صالة الرياضة التي يمتلكها زياد والذي يقوم بدور مدرب اليوجا لنادين

زيارتها للطبيب كانت خطوة مهمة ونقله حياتيه جيده لها.

تصالحت مع ذاتها وعيوبها وبدأت بتقبل نفسها بأخطاءها وماضيها ونشأتها الذي لم تمتلك امرها بل فُرضت عليها وطفولتها التي مرت سُدى دون أن تشعر.

تصالحت مع حِملها الثقيل والاختبار الكبير الذي وجدت نفسها عالقة بداخله

مُقيده بحبال ومُعلقه بالهواء لا أرض تحتها تثبت عليها أقدامها ولا مجال للهروب من هذا الحصار.

بدأت تحب نفسها كما هي بندوبها وسقطاتها ولا تخشى أن يعرف الآخرون قصتها فيتجنبون الحديث معاها ويتجهوا للحديث عنها

الناس لا يملكون الا الحديث يتناولونه فيما بينهم كتناثر ذرات الاكسجين في الهواء ولا ييأسون من أن يزيدوا الأحداث حرارة من وحي خيالهم السينيمائي الواسع.

فيتحول الخبر من الرجل الذي خدشه قطه إلى القط الذي قطع إصبع صاحبه وفقأ عينه وأصابه بفيروس خطير ليس له علاج حول العالم وياحسرتا اااه على شباب الرجل.

الناس لا تصمت حتى تنسى ولن تنسى حدث الا بحدث جديد

ذلك اليوم عرض عليها زياد الزواج لم تفهم ما قاله حتمًا فطلبت منه أن يكرر ما قاله لتتأكد

فأعاد العبارة ثلاث مرات دون توقف

الأمر بالنسبة لنادين يمثل صدمه كبيره

صديقها الأقرب والذي تشاركه كل شيء سينتقل من صديق مقرب إلى مكانه اخرى

سألته نادين

- منذ متى تفكر في ذلك الأمر!

رد عليها زياد

- منذ رأيتك مع عمر وزملاءنا أول مرة انجذب قلبي لا أدرى لما

أقسم أنى حاولت تجاهل ما بداخلي ولكن مع كل مره أراك تبتسمين يذوب قلبي

أحب حديثك حتى لو عن أظافرك التي تنمو ببطيء بسبب فقر الدم واستمتع بها وكأنها أحد الابحاث الهامة في كامبريدج

تتذكري يوم تقابلنا دون الأخرين لأول مرة

اومأت نادين رأسها متجاوبة معه انها تتذكر

أكمل حديثه حينها اردت ان أخبرك بما أكنه لكِ ولكني خِفت كثيرًا

خفت ان تغضبي، خفت ان لا أراك ثانية

خفت ان افقدك إلى الابد.

ردت نادين

كيف استطعت اخفاء كل هذه المشاعر لأكثر من عامين! هل اخبرت أحد!

رد زياد

خوفي من خسارتك ومن وجودك في حياتي بأي صفه تريدين أكبر من أي شيء وكان هذا دافعي الوحيد.

لم أخبر احدًا لأني اردت الاحتفاظ بكِ

أعرف أنك الآن تحت تأثير المفاجأة

أستطيع رؤية ذلك في عينيك التي توسعت حدقاتهما.

لا انتظر ردك الآن واعتذر عن كل ما قلت ولكن كان يتوجب على أخبارك

أرجو الا يكون حديثي تسبب في افساد يومك.

ردت نادين

لا عليك فقط لا أعرف ما اقول من هول المفاجأة

اعتقد انه يجب أن اذهب الآن

سأهاتفك الليلة ونتحدث

قالتها وهي تستعد للقيام من مجلسها ومن ثم استدارت وسارت بخطوات سريعة ترتدي نظارتها الشمسية الضخمة وتضع هاتفها ومفاتيح منزلها في الحقيبة كشخص لديه موعد ونسيه أو تأخر عليه.

انطلقت متجهة لمنزل والدة طارق وكأنها تمتلك تعويذة ما أو سحرًا يمكنه ايجاد حلول لأصعب المواقف في دقائق.

والدة طارق بالنسبة لنادين بمثابة القشة التي نجدت الغريق فهي ملجأها من اضطراب أفكارها وعقلها الذي لن يضللها.

وصلت نادين لتجد الجدارية الثالثة في انتظارها على ذات السور ولكن هذه الجدارية قالت ما ارادت قوله بالتحديد خلال الأيام القليلة الماضية.

فقامت بتصويرها

كانت قد قرأت منذ أيام عن خروج مجرمون تحت السن القانوني بعد انقضاء فترة العقوبة والتي تمت بضع أعوام أقل من أصابع يد واحدة بعد قتلهم صديقهم.

لا أعلم ماذا أفعل وجدت نفسي اتجه اليكي

قالتها نادين وقلبها ينتفض كقط هارب

استقبلتها والدة طارق كعادتها بكل لطف وترحاب

قائلة:

كنت سأهاتفك اليوم حتمًا رأيتك في حُلمي بإطلاله مختلفة ترتدين فستانًا لامعًا كفساتين الاميرات لونه أقرب إلى لون عينيك وترقصين مع شاب وسيم وهذا ما اتذكره.

ظهرت علامات الصدمة على وجه نادين قائلة:

ماذا؟؟!

هذا هو سبب حضوري اليوم

ابتسمت والدة طارق قائلة:

يبدو انها كانت رؤية إذا وليست مجرد حلم عابر

حسنًا أخبريني من هو سعيد الحظ

ردت نادين في استحياء

زياد صديقي الذي اخبرتك عنه سابقًا

لا أدرى ماذا أفعل حملت حقيبتي وهربت اليكِ

تتذكرين عندما قولت انني انتظر الحب وقلبي مشتاق اليه وتلك الكلمات التي تؤكد تعطشي الشديد له.

عندما سمعت زياد وهو يصفني بقلبه وكيف يراني ويتذكر أشياء عني لم اتذكرها ويصف مشاعره تجاهي خِفت كثيرًا وأردت الهروب أو ان استيقظ ليصبح مجرد حلم.

شعرت ان مشاعره تجاهي مسئوليه كبيره وارتجف قلبي بداخلي وحاولت الا اظهر توتري الشديد وجئت اليكِ أخبريني ماذا أفعل.

ردت والدة طارق وهي تربط على يد نادين وتهدأها قائلة:

مشاعر من نحب هي مسئوليه كبيره ولكنها كبيره على المستهترين اما عليكِ فهي في امان.

أعرف ان ما مررتي به ليس هينًا وان أثره عميق في قلبك وانه مازال ينزف حتى الآن ولكن حان الوقت لبناء اسرتك الخاصة.

زياد شخص مناسب حنون ومتفهم يستطيع فهمك دون الحاجة لكلمات كما قولتي لي من قبل ويحترمك.

كما انني أتذكر لمعة عينيك حينها وانتِ تتحدثين عنه وهذا دليل على وجود مشاعر تجاهه حتى لو تجاهلتيها.

احمرت وجنتا نادين من الخجل

فأكملت والدة طارق الحديث قائلة:

دعي لقلبك متسعه واتركي لجام روحك تلتحم بروح من تحب وتكتمل

القلب لا يمكن تكبيله بحبال الخوف والقلق.

ولا المشاعر يحكمها العقل

لكل منهما دوره فالعقل يدرس صفات الشخص هل هو مناسب أم لا وللقلب الحكم الأخير.

هدأت نادين وهدأ قلبها

استأذنت ورحلت ولم تنتظر المساء لتهاتف زياد

هاتفته وطلبت مقابلته في المساء لأمر ضروري

استقلت نادين سيارة اجره واتجهت في عجاله إلى المنزل للاستعداد لموعد المساء.

تفكر في ارتداء فستانها الاسود الطويل والمرصع بلألئ بيضاء صغيره كحبات الارز داخل ورود حمراء صغيره متناثرة على الصدر ولا مانع من وضع بعض مساحيق التجميل ولا مانع أيضًا ان تترك شعرها ينسدل على كتفيها دون ربطات شعر تقليديه.

في الطريق نشرت نادين صورة الجدارية الجديدة على صفحتها على فيس بوك بهاشتاج #جداريات وهاشتاج آخر #ليسوا أطفالا ولكن مجرمون

وفي دقائق وصل عدد المشاركات لتلك الصورة عشرون مشاركه

يقضي طارق فترة الاستراحة من العمل يقرأ آخر الأخبار ويتابع تفاعل الناس على الجداريات في العموم وعلى جدارياته على وجه خاص

بينما هو مستغرق في قراءة الآراء ارسل له عمر رسالة على الواتساب الخاص به لا تحمل كلمات ولكنها تحتوي على رابط

قبل أن يفتحه طارق سأله ما هذا؟

اجابه عمر

هذا رابط لصوره لجداريه جديده في إحدى المجموعات العامة ترجع لذلك الشخص كاتب الجداريات المجهول صاحب العلامة المميزة والذي أصبح من اوائل محركات البحث

هذا الذي كنت أتحدث عنه قبل الذهاب للمصحة لو تتذكر

توقف طارق امام كلمات عمر لم يعرف بماذا يرد عليه

هل يخبره انه صاحب الجداريات المجهول وان رأيه منذ البداية في تلك المسألة اراح قلب طارق وازاح من على عاتقه حِمل كان يكتم أنفاسه أم يبلغه انه مشغول جدًا الآن وسيراها لاحقًا؟!

وأخيرًا استسلم طارق للحل الاخير فقال

لدي الكثير من الأعمال المتأخرة سأحاول انجازها ومن ثم سأقرأ تلك الجدارية.

وعلى عكس ما قال تمامًا لم يكن لديه اية أعمال متأخرة أو متراكمه وعلى الفور قام بفتح ذلك الرابط دون انتظار ليجد جداريته الثالثة مُصوره من قِبل أحد المصورين المحترفين نشرها على صفحته ونشر معها عنوان الجداريات الثلاثة ثم قام بمشاركتها في هذه المجموعة العامة.

بدأ طارق بقراءة التعليقات بتركيز لم يتوقع أبدأ أن يجد هذا العدد الكبير من الاشخاص متأثرًا بتلك الكلمات البسيطة.

أصبح لديه جمهور عريض لمجرد كتابته هذه العبارات البسيطة والتي وصفها آخرون بالسطحية ولكن في النهاية هو لم يكن يريد سوى أن يشارك الجميع يومياته دون أن يكشف عن هويته الحقيقية ولم يكن أبدأ غرضه الشهرة.

هذا ما جعله يشعر بالحماس لمواصلة الطريق التي بدأها ولكن هذه المرة سيغير المكان ويختار مكان ملائم للكلمات التي يود نشرها.

انتهى وقت العمل واستعد طارق للذهاب وهو يفكر في المكان الجديد ومتى يكون الشارع حوله هادئ حتى لا يتعرف إلى شخصه أحد.

وصل للمنزل وعقله مزدحم ومشتت من تضارب الأفكار

وضع قبلة على جبين والدته وأغلق باب غرفته يحاول جمع شتات عقله وترتيب أفكاره وبالفعل حدد المكان وهو باب محل مغلق منذ أعوام يقع في الجهة المقابلة لمصحة نفسية وعلاج الإدمان تبعد عن المنزل قرابة عشر دقائق سير على الأقدام.

في تمام الساعة العاشرة مساءًا استعد للنزول وارتدى ذلك الشال الذي يخفي وجهه.

سألته والدته إلى أين تذهب ولكنه لم يجيبها قال لن أتأخر ورحل

بعد عشر دقائق تقريبًا وصل للمكان الذي يريده راقبه في بداية الأمر والتفت يمينًا ويسارًا حتى تأكد أن المكان خالي تمامًا ومن ثم بدأ بالكتابة وهذه المرة كتب جداريتين أولهم عن الإدمان فقال:

" ابنك المدمن هو مريض ووجوده داخل مشفى لعلاج الإدمان هو أول طريق التعافي قف بجانبه وواجه معه أعراض الانسحاب بل وكن فخورًا انه يحاول النجاة وليس عار عليك لتخبر العالم بأسره أنه يدرس في أوروبا وبعد ذلك تتبرأون منهم"

والأخرى عن الحب؛ فقال:

"الحب غير المشروط والعناق دون سبب يغير بداخلنا الكثير وهما دواء من كان داءه بلا دواء وهما أيضًا دافع قوي للنجاح والثقة بالنفس عند الأبناء"

أنهى كتابة كلماته وعاد للمنزل وهو يشعر بأن جبلاً انزاح عن ظهره

في ذلك التوقيت كان زياد ونادين جالسين في موعدهم الأول كحبيبين وليس كأصدقاء

وصل زياد قبل الميعاد بساعة تقريبًا وكانت حينها الدقائق تمر ببطء شديد وهذا ما أصابه بالارتباك

أحضر معه بعض زهور التوليب البيضاء التي لها سحر غريب في سرقة الانظار والقلوب أيضًا.

وأخيرًا وصلت نادين في الميعاد بأنوثة طاغية بفستان أسود طويل يحدد قوامها الممشوق وشعر كسلاسل الذهب منسدل على كتفيها وظهرها ولأول مرة تضع مساحيق تجميل فزادتها جمالاً فوق جمالها.

وقف زياد وهو مندهش من تلك اللوحة الفنية الماثلة أمامه ولم ينطق بحرف

فبدأت نادين الحديث قائلة:

هذا الورد لي؟!

رد زياد في ارتباك؛ قائلاً:

نعم نعم لكِ الورد وصاحبه

ثم تحرك بسرعة وسحب المقعد لها ووقف خلفه حتى جلست هذا ما يفعله أصحاب الذوق الرفيع والمتمسكين بإتيكيت معاملة النساء.

ومن ثم ذهب وجلس على المقعد الخاص به وبدأ بالحديث عن حالة الطقس والتكدس المروري وأشياء لا تمت لبعضها بصلة حوالي نصف ساعة وهم يشربون العصير.

قاطعته نادين؛ قائلة:

موافقة

لم يستوعب زياد الكلمة فرد:

ماذا؟

أكملت نادين الحديث وهي تبتسم بخجل:

موافقة على عرض الزواج هل مازال العرض قائم أم أنك سحبته؟

أمسك زياد بيد نادين ووضع عليها قبلة رقيقة ثم قال

كنت سأنتظرك ما دمت حيًا.

وصل طارق للمنزل وكعادته قبل جبين والدته وخلد للنوم ولكن هذه الليلة شعورها مختلف يشعر وكأنه لم يعد يخاف اقتراب الناس ولا التجمعات وبات مؤمن بالأصدقاء وبدورهم في الحياة وشدد أكثر من مرة على اختيار الأصدقاء لأن هناك نوعًا منهم يدفعك للإدمان أو ارتكاب الجرائم أو الانتحار أحيانًا

انقلبت موازينه وتبدلت قناعاته خلال تلك الفترة الصغيرة من بداية النجاة من الحادث حتى الآن والتي كانت عبارة عن ثلاثة أشهر أو أقل بأسبوع أو اثنين وكان أهم ما استنتجه..

الأم هي جيش الدفاع الأول والأب هو المثل الأعلى دائمًا وابدًا..

الأصدقاء متكأ من حديد أو من ورق فأختار أيهما تريد..

السوشيال ميديا ومواقع التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين يمكن من خلاله تحويل الواقع إلى جنة مليئة بالحب والخير والفراشات والورود.

أو نحوله لجحيم بتحريف أسس التربية السليمة والترويج للفساد والتجاهل عن الصواب والخطأ.

دائمًا لدينا الاختيارات لا أحد مجبر على اختيار طريق الشر فجميعنا نولد على فطرة البراءة وحب الله ولا أحد يولد محبا للشر.

ثم ختم كلامه بعبارة

" يبدو أنني أتعافى"

وكان هذا ما كتبه طارق على صفحته الخاصة على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وأول ما تم نشره منذ أن أنشأها منذ سنوات مضت

***

الفهرس

الفصل الأول.....٨
الفصل الثاني.....٣٣
الفصل الثالث.....٥٧
الفصل الرابع.....٧٥
الفصل الخامس.....٩٣

تمت

بحمد اللّه